الكتاب الثانى

رسالة

التوابع والزوابع

obeikandl.com

obeikandl.com

المرقل

زهير بن نمير

لله أبا بكر[1] ظنٌّ رميتَه فأصميْت ، وحدْسٌ أملتَه فما أشْوَيْت[2]! أبدَيتَ بهما وجهَ الجَليَّة ، وكشفتَ عن غُرَّةِ الحقيقة ، حين لمحتَ صاحبَك الذي تكسَّبْتَه ورأيتَه قد أخَذ بأطرافِ السَّماء ، فألَّف بين قَمَريها ، ونظَم فَرقَدَيها ، فكلَّما رأى ثَغراً سَدَّه بسُهاها[3] ، أو لمَح خَرقاً رَمَّه بزُباناها[4] ،

---

١ ابو بكر : هو ابو بكر بن حزم ، كما ذكر ابن بسام ، واسرته شهيرة في الاندلس ومنها الفقهاء والوزراء والادباء . جاء في وفيات الاعيان : وكان بين ابن شهيد وابن حزم الظاهري مكاتبات ومداعبات . والمراد به الفقيه ابو محمد بن حزم . وذكر الفتح بن خاقان في مطمح الانفس ان ابن حزم كنيته ابو المغيرة ، وكان هو وابن شهيد خليلي صفاء لا ينفصلان في رواح ولا مقيل . وابن حزم هذا من الوزراء الكتاب .

٢ أصميت : أي رميت فقتلت الصيد في مكانه . ما أشويت : ما أخطأت المقتل . يقال أشواه : أصاب شواه ، أي أطرافه ، لا مقتله .

٣ السهى : كوكب خفي من بنات نعش الصغرى ، مجاور للقطب ، وكان العرب يمتحنون به ابصارهم لخفائه .

٤ رمه : اصلحه . الزبانى : واحد الزبانيين ، وهما كوكبان نيران في قرني برج العقرب معترضان بين الشمال والجنوب ، بينهما قيد رمح ينزلهما العقرب في الليلة السابعة عشرة .

الى غير ذلك . فقلتَ : كيف أُوتيَ الحكمَ صبيّاً ، وهَزّ بجذعِ نخلة الكلام فاستساقطَ عليه رُطَباً جَنِيّاً ؟ أما إن به شيطاناً يهديه ، وشَيْصَباناً[1] يأتيه ! وأُقسِمُ أنّ له تابعةً[2] تُنجِدُه ، وزابعةً[3] تؤيّدُه ، ليس هذا في قُدْرةِ الإنس ، ولا هذا النَّفَسُ لهذه النَّفْس . فأمّا وقد قُلتَها ، أبا بكرٍ ، فأصِخْ أُسمِعْكَ العَجَبَ العُجاب :

كنتُ أيّامَ كُتّابِ الهِجاء ، أحِنُّ الى الأدباء ، وأصبُو الى تأليفِ الكلام ؛ فاتّبعتُ الدّواوين ، وجلستُ الى الأساتيذ ، فنَبَضَ لي عِرقُ الفَهْم ، ودَرّ لي شِرْيانُ العِلم ، بموادّ رُوحانية ؛ وقليلُ الالتماح من النظر يزيدني ، ويَسيرُ المطالَعةِ من الكتبِ يُفيدُني ، إذ صادَفَ سَنَنُ العلم طَبَقَة . ولم أكُنْ كالثلجِ تَقْتَبِسُ منه ناراً ، ولا كالحِمارِ يحمِلُ أسْفاراً . فطعَنتُ ثُغْرةَ البيانِ دِراكاً ، وأعلَقْتُ رِجْلَ طيرِهِ أشراكاً ، فانثالت[4] لي العجائب ، وانهالت عليّ الرغائب[5] .

---

١ الشيصبان : اسم الشيطان ، وقبيلة من الجن .
٢ التابعة : جنية تحب الانسان وتتبعه حيث ذهب .
٣ الزابعة ، والمعروف الزوبعة ، كما في القاموس وغيره من المعجمات : رئيس للجن او اسم شيطان ، يجمع على زوابع .
٤ انثال : انصب ، وعليه القول تتابع وكثر فلم يدر بأيه يبدأ .
٥ الرغائب ، جمع الرغيبة : الامر المرغوب فيه ، والعطاء الكثير .

وكان لي أوائلَ صبوَتي هوًى اشتدَّ به كَلَفي ، ثم لَحِقني بَعْدُ مَلَلٌ في أثناء ذلك المَيْل . فاتَّفَقَ أنْ ماتَ مَنْ كنتُ أهْواه مدَّة ذلك المَلَل ، فجَزِعتُ وأخَذتُ في رثائه يوماً في الحائرِ [1] ، وقد أبْهِمَتْ عليَّ أبوابُه ، وانفردْتُ فقلت :

تولَّى الحِمامُ بظَبْيِ الخُدُورِ ،
وفازَ الرَّدى بالغَزالِ الغَريرِ

الى أن انتهَيْتُ الى الاعتذارِ من المَلَل الذي كان ، فقلت :

وكنتُ مَلِلْتُكَ لا عن قِلىً ،
ولا عن فسادٍ جرى في ضَميري

فأرتِجَ عليَّ القولُ وأُفحِمْتُ ، فإذا أنا بفارسٍ ببابِ المجلِس على فَرَسٍ أدْهَمَ كما بَقَل وجهُه [2] ، قد اتَّكأ على رُمحِه ، وصاح بي : أعَجْزاً يا فتى الإنس ؟ قلتُ : لا وأبيك ، للكلامِ أحيان ، وهذا شأنُ الانسان ! قال لي : قُلْ بعدَه :

كمِثْلِ مَلالِ الفتى للنعيمِ ،
إذا دامَ فيه ، وحالِ السُّرورِ

---

١ الحائر : البستان .

٢ بقل وجهه : خرج شعره .

فأثبتُّ إجازتَه، وقلتُ له : بأبي أنت ! مَنْ أنت ؟ قال : أنا زُهَيرُ بن نُمَير من أشجَعِ الجِنّ[1]. فقلتُ : وما الذي حداكَ الى التصوُّرِ لي ؟ فقال : هَوًى فيك ، ورَغبةٌ في اصطفائِك . قلت : أهلاً بكَ أيُّها الوجهُ الوَضّاح ، صادفتَ قلباً إليك مقلوباً[2] ، وهوًى نحوكَ مجنُوباً . وتحادَثْنا حيناً ثمّ قال : متى شِئْتَ استِحْضاري فأنشِدْ هذه الأبيات :

والي زُهَيرَ الحُبّ ، يا عَزّ ، إنه
إذا ذكَرَتْه الذّاكراتُ أتاها[3]

إذا جَرَتِ الأفواهُ يوماً بذِكْرِها
يُخَيَّلُ لي أنّي أُقبِّلُ فاها

فأغْشى ديارَ الذّاكِرِين ، وإن نَأتْ
أجارِعُ مِنْ داري ، هوًى لهَواها[4]

---

١ اشجع الجن : اي ينتسب الى بني اشجع في الجن ، وابن شهيد ينتسب الى بني اشجع في الانس ، فبينه وبين شيطانه قرابة ، وبنو اشجع قبيلة عربية .

٢ اليك : اي شوقاً اليك . مقلوباً : مصاباً ، من قلبه : اصاب قلبه ، ويأتي مقلوباً بمعنى محولا ، فيكون المعنى محولا اليك ، يقال : قلبه ، اي حوله عن وجهه .

٣ والي : لحقه الخرم ، وهو حذف اول الوتد المجموع من اول البيت ، اي حذف فاء فعولن في الطويل ، فبقي عولن ، فنقل الى فعلن .

٤ اجارع : جمع اجرع ، وهو الكثيب له جانب رمل ، وجانب حجارة ، او هو ارض ذات حزونة يعلوها رمل .

وأوثَبَ الأدهمَ جِدارَ الحائطِ ثم غابَ عنّي. وكنتُ، أبا بكرٍ، متى أُرتِجَ عليَّ، أوِ انقطَعَ بي مَسْلَك، أوْ خانَني أُسْلوبٌ أُنشِدُ الأبياتَ فيُمثِّل لي صاحبي، فأسيرُ الى ما أرغَب، وأُدْرِكُ بقريحتي ما أطلُب. وتأكَّدتْ صُحْبَتُنا، وجرَتْ قِصَصٌ لولا أن يطُولَ الكِتابُ لذكرتُ أكثرَها، لكنّي ذاكرٌ بعضَها.

obeikandl.com

الفصل الاول

توابع الشعراء

شيطان امرىء القيس

تذاكرتُ يوماً مع زُهير بنِ نُمَيرٍ أخبارَ الخُطَباء والشعَراء، وما كان يألَفُهُم من التَّوابع والزَّوابع، وقلتُ: هل حيلةٌ في لِقاء من اتَّفَق منهم؟ قال: حتى أَستأذِنَ شيخَنا. وطار عنّي ثم انصرَفَ كلَمْحٍ بالبَصَر، وقد أُذِن له، فقال: حُلَّ على مَتنِ الجَواد. فصرنا عليه؛ وسار بنا كالطائرِ يَجْتابُ الجوَّ فالجوَّ، ويقطَعُ الدَّوَّ فالدَّوَّ[1]، حتى التَمَحْتُ أرضاً لا كأرضِنا، وشارَفتُ جوّاً لا كجَوِّنا، متفرِّعَ الشجَر، عَطِرَ الزَّهَر؛ فقال لي: حلَلْتَ أرضَ

---

١ الدو: الفلاة.

obeikandl.com

الجِنّ أبا عامر ، فبمَنْ تُريدُ أنْ نَبْدَأ ؟ قلتُ : الخطباءُ أولى بالتّقديم ، لكنّي الى الشعراء أشْوَق . قال : فمَن تُريدُ منهم ؟ قلت : صاحبَ امرىء القَيْس . فأمالَ العِنانَ الى وادٍ منَ الأوديةِ ذي دَوحٍ تتكسّرُ أشجارُه ، وتترنّمُ أطيارُه ، فصاح : يا عُتَيبةُ بنَ نوفَل ، بسِقْطِ[1] اللّوى فحَوْمَل ، ويومِ دارةِ جُلجُل ، إلاّ ما عَرَضْتَ علينا وجهَك ، وأنشَدْتَنا من شِعرِك ، وسمِعتَ من الإنسيّ ، وعرّفتَنا كيف إجازتُك له ! فظهَر لنا فارسٌ على فرسٍ شقراء كأنّها تلتَهِب ، فقال : حَيّاكَ اللهُ يا زُهَير ، وحيّا صاحبَك ! أهذا فتاهُم ؟ قلتُ : هو هذا ، وأيُّ جَمْرةٍ يا عُتَيبة ! فقال لي : أنشِدْ ، فقلتُ : السيِّدُ أولى بالإنشاد . فتطامحَ طَرْفُه ، واهتزّ عِطْفه ، وقَبَضَ عِنانَ الشّقْراء ، وضرَبها بالسّوط ، فسَمَت تُحْضِر طُولاً عنّا ، وكَرّ فاستَقبَلنا بالصَّعْدةِ[2] هازّاً لها ، ثم رَكَزها وجعَل يُنشِد :

سما لك شوقٌ بعدما كان أقصَرا[3]

---

١ بسقط : الباء للقسم .

٢ الصعدة : القناة المستوية .

٣ سما لك : مطلع قصيدة مشهورة لامرىء القيس ، قالها وهو ذاهب الى بلاد الروم .

حتى أكْمَلَها ثم قال لي : أَنشِدْ ؛ فهَمَمْتُ بالحَيصَةِ[1] ، ثم اشتدَّتْ قُوى نفسي وأنشَدْتُ :

سَبَجَتْهُ مَغانٍ من سُلَيْمى وأَدْؤُرُ[2]

حتى انتهَيتُ فيها الى قولي :

ومِن قُبَّةٍ لا يُدرِكُ الطَّرْفُ رأسَها ،
تَنزِلُ بها رِيحُ الصَّبا فتَحَدَّرُ

تكَلَّفتُها والليلُ قد جاشَ بَحْرُهُ ،
وقد جعَلتْ أمْواجُهُ تتَكَسَّرُ

ومن تحت حِضني أبيضٌ ذو سَفاسِقٍ ،
وفي الكفِّ من عَسَّالةِ الخَطِّ أسمَرُ[3]

هُما صاحِباي مِن لَدُن كنتُ يافِعاً ،
مُقيلانِ من جَدِّ الفتى حين يَعْثُرُ

فذا جَدوَلٌ في الغِمدِ تُسقى به المنى ،
وذا غُصُنٌ في الكَفِّ يُجنى فيُثمِرُ

---

١ الحيصة : الانهزام والهرب .
٢ المغاني : المنازل . ادؤر : جمع دار .
٣ السفاسق : جمع سفيسقة وسفسوقة ، وهي فرند السيف او طرائقه .

فلمّا انتهيتُ تأمّلني عُتيبةُ ثم قال : اذهبْ فقد أجزتُك. وغاب عنّا .

شيطان طرفة

فقال لي زُهير : من تُريدُ بَعْد؟ قلتُ : صاحِبَ طَرَفة. فجزَعْنا[1] وادي عُتَيْبة ، وركَضْنا حتى انتهَيْنا الى غَيضةٍ شجرُها شَجَران : سامٌ يَفوحُ بَهاراً[2] ، وشِحْرٌ[3] يَعْبَقُ هندِيّاً[4] وغاراً . فرأينا عَيناً مَعينةً[5] تَسيل ، ويدُورُ ماؤها فلَكِيّاً ولا يَحُول . فصاح به زهير : يا عنترُ بنَ العَجْلان ، حَلّ بكَ زهيرٌ وصاحِبُه ، فبخَولة ، وما قَطَعْتَ معَها من ليلة ، إلاّ ما عَرضْتَ وجهَك لنا ! فبَدا إلينا راكبٌ جميلُ الوجه ، قد توشّحَ السّيف ، واشتَمَل عليه كِساءُ خَزّ ، وبيَدِه خَطّيّ ، فقال : مرحباً بكُما ! واستنشَدَني فقلتُ : الزعيمُ أولى بالإنشاد ؛ فأنشَد :

---

١ جزعنا : قطعنا .

٢ السام : الخيزران . البهار : نبت طيب الرائحة ينبت ايام الربيع ، ورده اصفر الورق ، احمر الوسط ، اسمن من ورق البابونج ، ويقال له العرار .

٣ الشحر او الشحير كما في القاموس وغيره من المعجمات : اسم شجر .

٤ الهندي : اي الشجر الهندي ذو الرائحة الزكية .

٥ معينة : ظاهرة جارية على وجه الارض .

لِسُعدى بِحِزّانِ الشُرَيفِ طَلولُ[1]

حتى أكملها ، فأنشدته من قصيدة :

أَمِنْ رَسْمِ دارٍ بالعَقيقِ مُحيلِ

حتى انتهيتُ الى قولي :

ولمّا هَبَطْنا الغَيثَ تُذعَرُ وحْشُهُ
على كلِّ خَوّارِ العِنانِ أَسيلِ[2]

وثارَتْ بناتُ الأعْوَجيّاتِ بالضُحى
أَبابيلَ ، مِن أعْطافِ غيرِ وبيلِ[3]

---

١ لسعدى : في ديوان طرفة : لهند . الحزان : الامكنة الغليظة الصلبة ، مفردها الحزيز . الشريف : اعلى جبل ببلاد العرب ، قاله صاحب القاموس وقد صعده ، وماء لبني نمير بنجد ، تنسب اليه العقبان ، او واد بنجد ، وحصن من حصون زبيد باليمن ، ذكر ذلك كله ياقوت ، وفي الاصل الشديف ، والتصحيح عن ديوان طرفة . وتمام البيت : تلوح وادنى عهدهن محيل .

٢ الغيث : اي النبات المسبب عن الغيث ، وهو مجاز مرسل . خوار العنان : اي فرس لين العطف . الاسيل : السبط المسترسل ، وتستحب الاسالة في خد الفرس ، وهي دليل الكرم .

٣ الاعوجيات : اي الخيول الكريمة ، منسوبة الى اعوج ، فرس لبني هلال مشهور . ابابيل : متفرقة فرقاً ، جمع لا واحد له . الاعطاف : جمع عطف بالكسر ، وهو قارعة الطريق . الوبيل : المرعى الوخيم .

مُسَوَّمةً نَعْتَدُّها مِنْ خِيارِها ،
لِطَرْدِ قَنِيصٍ ، أو لِطَرْدِ رَعِيلِ[1]

اذا ما تَغَنَّى الصَّحْبُ فوقَ مُتُونِها
ضُحَيّاً ، أجابَتْ تَحْتَهُمْ بصَهِيلِ

نَدُوسُ بِها أَبْكارَ نَورٍ كأنَّه
رِداءُ عَرُوسٍ أُوذِنَتْ بِجَلِيلِ

رَمَيْنا بِها عُرضَ الصُّوارِ فأقْعَصَتْ
أَغَنَّ قَتَلْناهُ بغَيرِ قَتِيلِ[2]

وبادَرَ أصْحابي النُّزولَ ، فأقبَلَتْ
كَراديسُ من غَضِّ الشِّواءِ نَشِيلِ[3]

نُمَسِّحُ بالحَوذانِ منه أَكُفَّنا ،
اذا ما اقتَنَصْنا منه غيرَ قَلِيلِ[4]

---

١ المسومة : الخيول المعلمة بعلامات الغزو . نعتدها : اي نعدها ، من اعد .

٢ العرض بالضم : الجانب . الصوار : القطيع من البقر الوحشي ، والمراد هنا قطيع من الظباء . اقعصت : قتلت . الأغن : الظبي يخرج صوته من خياشيمه . بغير قتيل : اي بغير ثأر لنا وقود .

٣ النشيل : اللحم الذي تنشله بيدك من القدر بلا مغرفة . او العضو الذي تأخذه بيدك ، فتتناول ما عليه من اللحم بفيك .

٤ الحوذان : نبت نوره اصفر ، في الاصل الجودان ، ولا معنى له ، وقد مر وصفه لابكار النور ، وشبهها برداء عروس ، وهنا يذكر تمسيح الايدي بها من اللحم .

فقُلنا لساقيها : أدِرْها سُلافةً
شَمُولاً ، ومِن عَينَيك صِرفَ شَمُول[1]

فقامَ بكأسَيْه مُطيعاً لأمْرِنا ،
يَميلُ به الإدلالُ كلَّ مَميل

وشَمْشَعَ راحَيْه ، فما زالَ مائلاً
برأسِ كريمٍ منهُمُ وتَليل[2]

الى أن ثَناهُمْ راكِدينَ ، لِما احتَسوا ،
خَليعِينَ من بَطشٍ وفَضْلِ عُقول

نَشاوى على الزَّهراء ، صَرعى كأنَّهُمْ
أساطينُ قَصْرٍ ، أو جُذُوعُ نَخيل[3]

فصاحَ عنترٌ : للهِ أنت ! اذهَبْ فإنك مُجاز . وغابَ عنّا . ثم مِلنا عنه .

شيطان قيس بن الخطيم

فقال لي زهير : الى مَنْ تتُوقُ نفسُك بَعدُ من الجاهليِّين ؟

---

١ الشمول : الخمر ، او الباردة منها .

٢ التليل : العنق .

٣ الزهراء : اي الارض الزهراء ، او اراد بها مدينة الزهراء بالقرب من قرطبة .

قلت : كفاني مَن رأيتُ ؛ اصْرِفْ وجْه قصدِنا الى صاحِب أبي تمّام . فرَكَضْنا ذاتَ اليمين حِيناً ، ويشتَدُّ في إثرِنا فارسٌ كأنّه الأسَد ، على فرسٍ كأنّها العُقاب ، وهو في عَدْوه ذلك يُنْشِد :

طَعَنْتُ ابنَ عبدِ القيسِ طعنةَ ثائِرٍ ،
لها نَفَذٌ ، لولا الشعاعُ ، أضاءَها[1]

فاستَرَبتُ منه ، فقال لي زهير : لا عليك ، هذا أبو الخَطّارِ صاحِبُ قَيسِ بنِ الخَطِيم . فاستَبى لُبّي من إنشادِه البيتَ ، وازدَدْتُ خوفاً لجُرأتِه ، وأنّنا لم نُعَرِّجْ عليه . فصرفَ إليه زهيرٌ وجهَ الأدهَم ، وقال : حيّاكَ اللهُ أبا الخَطّار ! فقال : أهكذا يُحادُ عن أبي الخَطّار ، ولا يُخْطَرُ عليه[2] ؟ قال : علمناكَ صاحِبَ قَنَص ، وخِفنا أن نَشْغَلَك . فقال لي : أَنشِدْنا يا أشجَعِيّ ، وأُقسِمُ أنّك إن لم تُجِدْ لَيكوننّ يومَ شرّ . فأنشدْتُه قولي مِن قصيدة :

---

١ البيت من قصيدة لقيس بن الخطيم الاوسي . ابن عبد القيس : هو قاتل والد قيس بن الخطيم . ثائر : آخذ بالثأر . النفذ : ما ينفذ من الطعنة . الشعاع : الدم المتفرق المنتشر . اضاءها : فاعلها يعود الى نفذ . يقول : لولا الدم المنتشر في هذه الطعنة ، لظهر منها النور ، لانها نفذت من جانب الى آخر .

٢ يخطر عليه : اي يمر به .

مَنازِلُهُمْ تَبْكِي إِلَيكَ عَفاءَها

ومنها :

خَلِيلَيَّ عُوجَا ، بارَكَ اللهُ فِيكُما ،
بِدارَتِها الأولى نُحَيِّ فِناءَها !

لَمْ أرَ أسْراباً كأسْرابِها الدُّمى ،
ولا ذِئبَ مثلي قد رَعى ، ثَمَّ ، شاءَها[1]

ولا كضَلالٍ كان أهدى لصَبْوَتي ،
لَيالِيَ يَهْدِينِي الغَرامُ خِباءَها

وما هاجَ هذا الشوقَ إلاَّ حَمائِمٌ ،
بَكَيْتُ لها لمَّا سَمِعْتُ بُكاءَها

عَجِبْتُ لِنفسي كيف مُلِّكَها الهوى ،
وكيفَ اسْتَفَزَّ الغانِياتُ إباءَها ؟

ولو أنَّني أنْحَتْ عليَّ أكارِمٌ ؛
تَرَضَّيْتُ بالعِرضِ الكريمِ جَزاءَها

ولكنَّ جُرْذانَ الثُّغورِ رَمَيْنَني ،
فأكرَمْتُ نفسي أن تُريقَ دِماءَها

---

١ اسرابها الدمى : رواية يتيمة الدهر : اسرابها الأولى .

إليكَ أبا مَروانَ ألقَيتُ رابياً
بحاجةِ نفسٍ ما حُربتُ خَزاءَها[1]

هَزَزْتُكَ في نَصْري ضُحىً فكأنَّني
هَزَزْتُ، وقد جِئْتُ الجِبالَ، حِراءها[2]

نَقَضْتُ عُرى عزم الزَّمانِ، وإن عَتا،
بعَزمةِ نَفْسٍ لا أُرِيدُ بَقاءها

فلمَّا انتهيتُ تَبسَّم وقال: لَنِعْمَ ما تخلَّصتَ! اذْهَبْ فقد أَجَزتُك.

صاحب ابى تمام

ثمَّ انصَرَفْنا، وركَضْنا حتى انتهَيْنا الى شَجَرةٍ غَيْناء[3] يتفجَّرُ من أصْلِها عَينٌ كمقلَةٍ حوراء. فصاح زُهَير: يا عَتَّابُ بنَ حَبْناء، حلَّ بك زُهير وصاحِبُه، فبعَمْرٍو والقمَرِ الطَّالِع، وبالرُّقعةِ المفكوكةِ الطَّابِع[4]، إلاَّ ما

---

١ ابو مروان: اي الوزير ابو مروان ابن الجزيري، وكان بينه وبين ابن شهيد مساجلات شعرية. رابياً: زائداً مرتفعاً. حربت: سلبت، للمجهول. خزاءها، على مد المقصور: شدة حيائها.

٢ حراء: جبل بمكة.

٣ الغيناء: الشجرة الخضراء.

٤ الطابع بفتح الباء وبكسرها: الخاتم يطبع به، يشير الى قول ابي تمام:

يا عمرو، قل للقمر الطالع: اتسع الخرق على الراقع
يا طول فكري فيك من حامل لرقعة مفكوكة الطابع

أَرَيْتَنا وجْهَكَ ! فانفلقَ ماءُ العَين عن وجهٍ فتىً كفِلْقةِ القمر ، ثمَّ اشتقَّ الهواءَ صاعداً إلينا من قَعْرِها حتى استَوى معنا . فقال : حيَّاكَ اللهُ يا زهير ، وحيَّا صاحِبَك ! فقلت : وما الذي أسكنكَ قَعْرَ هذه العَين يا عتَّاب ؟ قال : حَيائي من التَّحَسُّنِ باسمِ الشِّعْرِ وأنا لا أُحسِنُه . فصِحتُ : ويلي منه ؛ كلامُ مُحْدَثٍ[1] ورَبِّ الكَعْبة ! واستنشَدَني فلم أُنشِدْه إجلالاً له ، ثم أنشدتُه :

أَبَكَيْتَ ، إذ ظَعَنَ الفَريقُ ، فِراقَها[2]

حتى انتهيتُ فيها الى قولي :

إنّي امْرُؤٌ لَعِبَ الزَّمانُ بهِمَّتي ،
وسُقِيتُ من كأسِ الخُطوبِ دِهاقَها

وكبَوتُ طِرْفاً في العُلى ، فاستَضحكَتْ
حُمُرُ الأنامِ ، فما تَريمُ نُهاقَها[3]

واذا ارتَمَتْ نحوي المُنى لِأنالَها ،
وقَفَ الزَّمانُ لها هنـــاكَ فعاقَها

---

١ محدث : اي من الشعراء المحدثين ، والمراد بهم العباسيون الذين يميلون الى تزويق الكلام وتمويهه .

٢ الفريق : الجماعة من الناس .

٣ طرفاً : فرساً كريماً ، منصوب على الحال . ما تريم : اي ما تترك .

وإذا أبو يَحْيَى تأخَّرُ نَفْسُهُ،
فمتى أُؤمِّلُ في الزَّمان لَحاقَها ؟[1]

فلمَّا انتَهَيتُ قال : أَنشِدْني من رِثائك . فأنشَدتُه :

أَعِينَا امْرَأً نَزَحَتْ عَيْنُهُ،
ولا تَعْجَبا مِنْ جُفُونٍ جِمادِ[2]

اذا القلبُ أَحْرَقَهُ بَثُّهُ،
فإنَّ المدامِعَ تِلْوُ الفُؤادِ

يَوَدُّ الفتى مَنْهَلاً خالِياً،
وسَعْدُ المَنِيَّةِ في كلِّ وادِ[3]

ويَصْرِفُ للكونِ ما في يديهِ،
وما الكَونُ إلاَّ نَذِيرُ الفَسادِ[4]

---

١ نفسه : همته . ورواية يتيمة الدهر : تأخر سعيه . لحاقها : الضمير يعود الى المنى ، في البيت السابق .

٢ نزحت : نفد ماؤها . جماد : جمع جمد بفتح فسكون ، بمعنى جامد ، سمي بالمصدر .

٣ في كل واد : اشارة الى المثل السائر : بكل واد بنو سعد . قيل ان الأضبط ابن قريع السعدي تحول عن قوم ، وانتقل في القبائل ، فلما لم يحمد جوارهم رجع الى قومه ، وقال المثل .

٤ يصرفه : يفلته ، ويجعله ينصرف ، او هو بمعنى ينفقه .

لقد عَثَرَ الدَّهرُ بالسّابقينَ ،
ولم يُعجِزِ الموتَ رَكْضُ الجَواد

لَعَمْرُكَ ما رَدَّ رَيْبَ الرَّدى
أريبٌ ، ولا جاهِدٌ باجْتِهاد

سِهامُ المَنايا تُصيبُ الفَتى ،
ولو ضَرَبُوا دُونَه بالسِّداد

أَصَبْنَ ، على بَطْشِهِمْ ، جُرْهُماً ،
وأَصْمَينَ ، في دارِهِمْ ، قومَ عاد

وأقعَصْنَ كلباً على عِزِّه ،
فما اعتَزَّ بالصّافِناتِ الجِياد[1]

الى أنِ انتَهَيتُ فيها الى قولي :

ولكِنَّني خانَني مَعْشَري ،
ورُدْتُ يَفاعاً وبيلَ المَراد[2]

---

١ اقعصن : قتلن . كلب : هو كلب بن وبرة ابو قبيلة يمانية مشهورة . الصافنات : صفة للخيول اذا قامت على ثلاث قوائم ، وطرف حافر الرابعة .

٢ ردت ، من راد : طلب الكلأ . اليفاع : التل . وبيل : وخيم المرعى . المراد : الموضع الذي يطلب فيه الكلأ .

obeikandl.com

وهل ضَرَبَ السَّيفُ من غيرِ كفٍّ ؟
وهل ثَبَتَ الرَّأسُ في غيرِ هادٍ ؟[1]

فقال : زِدْني من رِثائك وتحريضِك ؛ فأنشدتُه :

أفي كلِّ عامٍ مَصْرَعٌ لِعَظيمِ ؟
أصابَ المَنايا حادِثي وقَديمي

هَوى قَمَرَا قيس بنِ عَيْلانَ آنِفاً ،
وأوحَشَ مِنْ كلبٍ مَكانُ زعيمِ[2]

فكيفَ لِقائي الحادِثاتِ اذا سَطَتْ ،
وقد فُلَّ سَيْفي منهُمُ وعَزيمي ؟

وكيفَ اهْتِدائي في الخُطُوبِ اذا دجَتْ ،
وقد فقَدَتْ عَيْناي ضوءَ نُجُومِ ؟

مضى السَّلَفُ الوَضّاحُ إلاّ بقيَّةً ،
كغُرَّةِ مُسْوَدِّ القَميصِ بَهيمِ[3]

---

١ الهادي : العنق .

٢ قيس بن عيلان : صوابه قيس عيلان ، وهو ابو قبيلة مضرية مشهورة ، وعيلان اسم فرسه ، مضاف اليه ، واسم قيس الناس بن مضر ، واخوه الياس المعروف باسم خندف ، والمراد بالقمرين قيس وخندف .

٣ الغرة : ليلة استهلال القمر ، ومن الهلال طلعته . مسود القميص : اي الليل . البهيم: الأسود . هذه القصيدة قالها في رثاء ابي عبيدة حسان بن مالك بن ابي عبيدة ، وزير عبد الرحمن بن هشام ايام الفتنة .

ومنها :

رَمَيْتُ بها الآفاقَ عَنّي غريبةً ،
نتيجةَ خفّاقِ الضُلوعِ كظيمِ

لأبدي الى أهلِ الحِجا مِن بَواطِني ،
وأُدْلي بعُذرٍ في ظواهِرِ لُومِ [1]

أنا السَّيفُ لم تتعَبْ به كفُّ ضاربٍ ،
صَرومٌ إذا صادَفتُ كفَّ صَرُومِ

سَعَيتُ بأحرارِ الرِّجالِ ، فخانَني
رجالٌ ، ولمْ أُنْجَدْ بِجِدِّ عظيمِ

وضَيَّعَني الأمْلاكُ بَدءًا وعودةً ،
فضِعتُ بِدارٍ منهُمُ وحَريمِ

فقال : إن كُنتَ ولا بُدَّ قائلًا ، فإذا دَعتْكَ نفسُك الى القولِ فَلا تَكُدَّ قريحتَك ، فإذا أكْمَلْتَ فَجَمامُ ثلاثةٍ [2] لا أقَلَّ . ونَقِّحْ بعدَ ذلك ، وتذكَّرْ قوله [3] :

---

١ اللوم : مخفف اللؤم .

٢ فجمام ثلاثة : اي فراحة ثلاثة ايام .

٣ قوله : اي قول سويد بن كراع العكلي ، وهو شاعر اموي هجا بعض قومه ، فاستعدوا عليه سعيد بن عثمان بن عفان ، فطلبه ليضربه ويحبسه ، فهرب منه ولم يزل متوارياً حتى عفا عنه .

وجشّمني خوفُ ابنِ عفّانَ ردّها ،
فشتّتُّها حولاً كريتاً ومربعا[1]

وقد كانَ في نفسي عليها زيادةٌ ،
فلمْ أرَ إلاّ أنْ أطيعَ وأسمعا

وما أنتَ إلاّ مُحسِنٌ على إساءةِ زمانِكَ . فقبّلتُ على رأسِه ، وغاصَ في العَين .

صاحب البحتري

ثم قالَ لي زُهَير : من تُريد بعده ؟ قلتُ : صاحبَ أبي نُوَاس ؛ قال : هو بدَيْرِ حَنّةَ[2] منذُ أشهر ، قد غلَبَت عليه الخَمر ، ودَيْرُ حَنّة في ذلك الجَبل . وعَرَضه عليّ ، فإذا بيننا وبينه فَراسِخ . فركضْنا ساعةً وجُزنا في ركضِنا بقَصرٍ عظيمٍ

---

١ ردها : الضمير لقصيدة الهجاء . حول كريت : سنة تامة . المربع : الموضع يقيمون فيه ايام الربيع ، والمراد هنا مدة الاقامة فيه . ورواية الاغاني : ورعيتها صيفاً جديداً ومربعا .

٢ دير حنة : دير بظاهر الكوفة ، كان يزوره ابو نواس ، ويأوي الى الحانات القريبة منه ، وقد ذكره غير مرة في خمرياته . وهو هنا في ارض الجن يأوي اليه شيطان شاعر الخمرة .

obeikandl.com

قُدّامَه ناوَرْدٌ[1] يتطاردُ فيه فُرسان ، فقلتُ : لمَنْ هذا القصرُ يا زهَير ؟ قال : لطَوقِ بنِ مالك ؛ وأبُو الطَّبْعِ صاحبُ البُحْتُرِيِّ في ذلك الناوَرْد ، فهل لكَ في أنْ تَراه ؟ قلتُ : ألفُ أجَلْ ، إنّه لمن أساتيذي ، وقد كُنتُ أُنْسِيتُه . فصاحَ : يا أبا الطَّبْعِ ! فخرَج إلينا فَتًى على فَرَسٍ أشْعَل[2] ، وبيدِه قَناة ، فقال له زُهَير : إنّك مُؤتَمُّنا[3] ؛ فقال : لا ، صاحبُكَ أشمخُ مارِناً[4] من ذلك ، لولا أنه ينقُصُه . قلتُ : أبا الطَّبْعِ على رِسلِك ، إنّ الرِّجالَ لا تُكالُ بالقُفزان[5] . أنشِدْنا من شِعرِك . فأنشد :

ما على الرَّكبِ من وُقوفِ الرِّكابِ[6]

حتى أكمَلَها . ثم قال : هاتِ إن كنتَ قُلتَ شيئاً . فأنشَدتُه :

هَـذِهِ دارُ زَينَبٍ والرَّبابِ

---

١ ناورد : فارسي الاصل ، يراد به ميدان او ملعب للخيل والبهلوان ، وربما أطلق على ضرب من المحاربة على الخيول وقهر الخصم ، ذكره دوزي في معجمه .
٢ الاشعل ، من الخيل : ما كان في ذنبه والناصية والقذال بياض .
٣ مؤتمنا : اي نأتم بك .
٤ مارناً : أنفاً .
٥ القفزان : جمع القفيز ، وهو مكيال .
٦ هذا مطلع قصيدة للبحتري ، وتمامه : في مغاني الصبى ورسم التصابي .

حتى انتهيتُ فيها الى قولي :

وارتكضنا حتى مضى الليلُ يسعى ،
وأتى الصبحُ قاطعَ الأسبابِ [1]

فكأنَّ النجومَ في الليلِ جيشٌ
دخلوا للكمونِ في جوفِ غابِ

وكأنَّ الصباحَ قانصُ طيرٍ
قبضتْ كفُّه برجلِ غرابِ

وفتوٍّ سروْا وقد عكفَ الليـ
ـلُ وأرخى مُغدودنَ الأطنابِ [2]

وكأنَّ النجومَ لمَّا هدتهم
أشرقت للعيونِ من آدابِ

يتقرَّونَ جوزَ كلِّ فلاةٍ ،
جُنحَ ليلٍ ، جوزاؤه من ركابي [3]

---

١ الاسباب : الحبال ، والمراد حبال التلاقي .
٢ الفتو : جمع فتى . وارخى : رواية يتيمة الدهر : واقعى . المغدودن : الناعم المتثني .
٣ الجوز : الوسط . الجوزاء : برج في وسط السماء . ركابي : في الاصل ركاب ، والتصحيح عن يتيمة الدهر .

عَنَّ ذِكري لِمُدلِجيهِم ، فتاهوا
مِن حديثي في عُرضِ أمرٍ عُجابِ [1]

هِمَّةٌ في السَّماءِ تَسحبُ ذَيلاً ،
من ذُيولِ العُلى ، وَجَدٌّ كابِ

ولوَ انَّ الدُّنيا كَريمةُ نَجْرٍ ،
لم تَكُن طُعمَةً لفَرْسِ الكِلابِ [2]

جيفَةٌ أنْتَنَتْ فطارَ إليها ،
من بني دهرِها ، فِراخُ الذُّبابِ

ومنها [3] :

من شُهَيْدٍ في سِرِّها ، ثُمَّ مِن أَسْـ
ـجَعَ في السِّرِّ من لُبابِ اللُّبابِ [4]

خُطَباءُ الأنام ، إن عَنَّ خَطْبٌ ،
وأعارِيبُ في مُتُونِ عِرابِ [5]

---

١ العرض : الجانب .
٢ النجر : الاصل . الفرس : الافتراس ، وكل قتل . ورواية اليتيمة : ابرص ، جمع ابرص .
٣ في الاصل : ومنها يفتخر .
٤ السر : الاصل ومحض النسب وافضله .
٥ العراب : الخيول العربية الكريمة ، السالمة من الهجنة .

حتى أكملتُها . فكأنّما غشّى وجهَ أبي الطّبعِ قِطعةٌ من الليل . وكرّ راجعاً الى ناوَرْدِه دون أن يُسلّم . فصاح به زهير : أأجَزْتَه ؟ قال : أجَزتُه ، لا بورِكَ فيك من زائر ، ولا في صاحِبك أبي عامر !

صاحب ابي نواس

فضَرَبَ زُهير الأدهمَ بالسّوط ، فسار بنا في قَنَنِه[1] ، وسِرنا حتى انتهَيْنا الى أصل جَبَلِ دَيرِ حَنّة ، فشقّ سَمعي قَرْعُ النّواقيس ، فصِحْتُ : مِنْ مَنازِلِ أبي نواس ، ورَبِّ الكعبةِ العَلياء ! وسِرْنا نَجتابُ أديراً وكنائسَ وحانات ، حتى انتهَينا الى ديرٍ عظيمٍ تَعبَقُ روائحُه ، وتَصُوكُ[2] نوافِحُه . فوقف زهير ببابه وصاح : سلامٌ على أهل دير حَنّة ! فقلتُ لزهير : أوَهل صِرنا بذات الأكيراح[3] ؟ قال : نعم . وأقبلتْ نحونا الرّهابين ، مُشدّدةً بالزنانير ، قد قَبَضتْ على

---

١ القنن : سنن الطريق ، اي نهجه ، في الاصل : قنته ، وهو تصحيف .

٢ تصوك : تعبق .

٣ ذات الاكيراح : هو دير حنة . الاكيراح : تصغير اكراح ، مفردها كوح بالكسر ، وهي لفظة سريانية ، معناها الكوخ الصغير يكون حول الدير ، ويسكنه الراهب الذي لا قلاية له ، واللفظة وردت في شعر ابي نواس .

العَكاكيز ، بيضَ الحواجبِ واللِّحى ، اذا نظروا الى المرء استحيا ، مكثرين للتَّسبيح ، عليهم هَدْيُ المسيح . فقالوا : أهلًا بكَ يا زهير من زائر ، وبصاحبك أبي عامر ! ما بُغْيَتُك ؟ قال : حُسَينُ الدِّنان . قالوا : إنَّه لفي شُرْب الخمرة ، منذُ أيّامٍ عشرة ، وما نُراكُما منتفِعَين به . فقال : وعلى ذلك[1] . ونزلْنا وجاؤوا بنا الى بيتٍ قد اصطَفَّت دِنانُه ، وعكَفتْ غِزْلانه ، وفي فُرْجَتِه شيخٌ طويلُ الوجهِ والسَّبَلة[2] ، قد افترشَ أضغاثَ زَهْر ، واتكأ على زِقِّ خَمْر ، وبيده طَرْجَهارة[3] ، وحوالَيْه صِبْيةٌ كأظْبٍ[4] تَعْطُو الى عَرارة[5] . فصاح به زهير : حَيَّاك اللهُ أبا الإحسان ! فجاوبَ بجوابٍ لا يُعقَلُ لغَلَبةِ الخمرِ عليه . فقال لي زهير : اقرَعْ أُذُنَ نشوتِه بإحْدى خَمْريَّاتِك ، فإنَّه ربما تنبَّه لبعض ذلك . فصِحْتُ أُنشِدُ من كلمةٍ لي طويلة :

ولرُبَّ حانٍ قد أدَرتُ بدَيرِه
خَمْرَ الصِّبا مُزِجَتْ بصَفْوِ خُمُورِه[6]

---

١ وعلى ذلك : اي وعلى ذلك تريده او ما اشبه .
٢ السبلة : ما على الشارب من شعر .
٣ الطرجهارة : شبه كأس يشرب فيه .
٤ اظب : جمع ظبي .
٥ تعطو : ترفع رؤوسها الى الشجر لتتناول منها. العرارة: واحدة العرار ، وهو نبت ناعم اصفر طيب الريح .
٦ حان : في الاصل : خان .

في فِتْيةٍ جعَلُوا الزِّقاقَ تِكاءَهُم،
مُتصاغِرينَ تخشُّعاً لكبيرِهِ[1]

والَى عليَّ بطَرْفِه وبكَفِّه،
فأمالَ مِنْ رأسي لِعَبِّ كبيرِهِ[2]

وتَرَنَّمَ النَّاقُوسُ عند صَلاتِهِمْ،
ففتَحْتُ من عَيني لِرَجعِ هَديرِهِ

يُهْدي إلينا الرَّاحَ كلُّ مُعَصْفَرٍ،
كالخِشْفِ خَفَّرَهُ التِماحُ خَفِيرِهِ[3]

فصاح من حَبائل نَشْوته : أَأَشْجَعِيّ ؟ قلتُ : أنا ذاك ! فاستدعى ماءً قَراحاً ، فشَرِب منه وغسَل وجهه ، فأفاقَ واعتذر إليَّ من حاله . فأدركتْني مَهابتُه ، وأخَذتْ في إجلاله لمكانه من العِلْم والشِّعر. فقال لي : أَنشِدْ ، أو حتى أُنشِدَك؟ فقلت : إنَّ ذلك لأشَدُّ لتأنيسي ، على أنه ما بعدك لمُحسنٍ إحسانٌ . فأنشد :

---

١ التكاء : اراد به المتكأ اي موضع اتكائهم ، وهو غير وارد . كبيره: كبير الدير ، اي عظيمه ورئيسه .

٢ كبيره : اي القدح الكبير .

٣ كل معصفر : اي كل ذي معصفر ، اي ثوب مصبوغ بالعصفر ، وهو نبت يصبغ به صبغ اصفر. خفره : اي جعله يحمر حياء . الخفير : الحامي والمحافظ .

يا ديرَ حَنَّةَ من ذاتِ الأَكيراحِ ،
من يَصِحُ عنكَ فإنّي لَستُ بالصّاحِي[1]

يَعتادُهُ كلُّ مَحْفُوفٍ مَفارِقُه
منَ الدِّهانِ ، عَليهِ سَحقُ أمساحِ[2]

لا يَدلِفُونَ الى مـــاءٍ بآنِيَةٍ ،
إلاّ اغتِرافاً منَ الغُدرانِ بالرّاحِ

فكدتُ واللهِ أَخرُجُ من جِلدي طَرَباً . ثم أنشَد :

طَرَحتُم من التَّرحالِ أَمراً فَغَمَّنا[3]

وأَنشَدَ أيضاً :

لِمَنْ دِمَنٌ تَزدادُ طِيبَ نَسِيمٍ ،
على طُولِ ما أَقْوَتْ ، وحُسنَ رُسُومِ[4]

---

١ هذه الابيات لابي نواس في وصف رهبان دير حنة .

٢ يعتاده : ينتابه . المحفوف : البعيد العهد بالدهان . الدهان : الطيب . السحق : الثوب البالي . الامساح : جمع مسح بالكسر ، وهو ثوب من شعر يلبسه الرهبان .

٣ امراً : في ديوان ابي نواس : ذكراً . وتمام البيت : فلو قد شخصتم صبح الموت بعضنا .

٤ طول : في الاصل طيب ، والتصحيح عن الديوان . اقوت : اقفرت . حسن رسوم، مكانها في الديوان موضع طيب نسيم، وهذه مكانها موضع حسن رسوم.

obeikandl.com

تَجافى البِلى عَنهُنَّ حَتّى كأنَّما
لبِسْنَ، من الاِقواءِ، ثَوبَ نَعيمِ[1]

واستمرَّ فيها حتى أكملَها. ثم قالَ لي: أنشِد. فقُلتُ: وهَل أبقَيتَ للاِنشاد موضِعاً؟ قال: لا بُدَّ لكَ، وأوعِثْ بي ولا تُنجِد[2]. فأنشدتُه:

أَصَباحٌ شِيمَ أَمْ بَرقٌ بَـــدا،
أَم سَنا المَحبوبِ أَوْرى أَزْنُدا[3]

هَبَّ مِنْ مرقَـدِه مُنْكَسِراً،
مُسْبِلاً للكُمِّ، مُرْخٍ لِلرِّدا

يَمْسَحُ النَّعسَةَ مِنْ عَيْنَيْ رَشاً،
صائِدٍ في كلِّ يَومٍ أَسَـــدا

قُلتُ: هَبْ لِي يا حَبِيبِي قُبْلَةً،
تَشْفِ مِنْ عَمِّك تَبريحَ الصَّدى[4]

---

١ الاقواء: خلوا الدار، وقوله من الاقواء: رواية الديوان: على الاقواء.
٢ اوعث: اي سر في المكان السهل. لا تنجد: لا تسر في النجد، اي المكان المرتفع.
٣ أصباح: في الاصل: أصفيح، والتصحيح عن مطمح الانفس للفتح بن خاقان. شيم: من شام، اي نظر.
٤ من عمك: في الاصل: من غمك، والتصحيح عن مطمح الانفس. الصدى: العطش.

فانْثَنى يَهْتَزُّ مِنْ مَنكِبِهِ ،
قائِلاً : لا ! ثُمَّ أَعْطاني اليَدا

كُلَّما كَلَّمَني قَبَّلْتُهُ ،
فَهْوَ إِمَّا قالَ قَولاً رَدَّدا

كادَ أَنْ يَرْجِعَ ، مِنْ لَثْمِي لَهُ
وارْتِشافي الثَّغرَ مِنهُ ، أدرَدا[1]

قالَ لِي يَلعَبُ : خُذْ لِي طائِراً ،
فَتَراني الدَّهرَ أَجري بالكُدى[2]

وإِذا اسْتَنجزْتُ يَوماً وَعْدَهُ ،
قالَ لي يَمطُلُ : ذَكِّرني غَدا

شَرِبَتْ أَعطافُهُ خَمْرَ الصِّبا ،
وسَقاهُ الحُسْنُ حَتَّى عَرْبَدا

وإِذا بِتُّ بِهِ ، في رَوضَةٍ ،
أَغْيَدَاً يَعرُو نَباتاً أَغْيَدا[3]

---

١ الادرد : من ذهبت اسنانه .

٢ الكدى : جمع الكدية ، وهي الارض الصلبة الغليظة . والجري بالكدى يراد به الظفر والنجاح .

٣ يعرو : يقصد . في مطمح الانفس : يقرو ، اي يقصد ويتتبع .
الاغيد : من مالت عنقه ، ولانت اعطافه ، ومن النبات الناعم المتثني .

قـامَ في اللّيْلِ بِجيـدٍ أتْلَـعٍ،
يَنفُضُ اللِّمّـةَ مِنْ دَمْعِ النّدى

رَشَـأٌ، بَلْ غـادةٌ مَمْكُورَةٌ
عَمَّمَتْ صُبْحاً بِلَيْـلٍ أسْوَدا[1]

أَحَحَتْ مِنْ عَضَّتِي في نَهدِها،
ثُمَّ عَضَّتْ حُرَّ وَجْهِي عَمَدا[2]

فأنا المَجْروحُ مِنْ عَضَّتِهـا،
لا شَفـانِي اللهُ مِنْهـا أبَدا!

فلمّـا انتهيتُ قال : لله أنت ! وإنْ كان طَبعُك مختَرَعاً منك . ثمَّ قـالَ لي : أنشِدْني من رِثائك شيئاً . فأنشَدتُه من قَولي في بُنَيَّةٍ صَغيرة :

أيُّهـا المُعْتَدُّ في أهْلِ النُّهى،
لا تَذُبْ، إثْرَ فَقِيـدٍ، وَلَهـا

حتى انتَهيتُ الى قَولي :

وإذا الأسْدُ حَمَتْ أغيالَهـا،
لَمْ يَضُرَّ الخِيسَ صَرْعاتُ المَهـا[3]

---

١ الممكورة : المدمجة الخلق والمتديرة الساقين .
٢ أححت : اي قالت : أح ، حكاية صوت .
٣ الخيس : عرين الاسد ، كالغيل .

وغريبٌ يا ابْنَ أقْمارِ العُلا ،
أن يُراعَ البَدْرُ مِنْ فَقْدِ الشُّهَا

فلمَّا انتهيتُ قال لي : أنشِدْني مِن رِثائِك أشَدَّ منْ هذا وأفصَح . فأنشَدْتُه منْ رِثائي في ابنِ ذَكْوانَ[1] . ثمَّ قال : أنشِدْني جَحْدَريَّتَكَ[2] مِنَ السِّجن ؛ فأنشَدته :

قَريبٌ بمُحْتَلِّ الهَوانِ بَعيدُ[3]

حتى انتهَيتُ فيها الى قولي :

فإنْ طالَ ذِكْري بالمُجونِ فإنَّني
سَقِيٌّ بمَنْظُومِ الكلامِ سَعيدُ

---

١ هو القاضي ابن ذكوان رثاه ابن شهيد بقصيدة اولها :
ظننـــا الذي نادى محقاً بموته ، لعظم الذي أنجى من الرزء ، كاذبا

٢ جحدريتك : نسبة الى جحدر ، وهو رجل من بني جشم بن بكر كان يخيف السبيل بأرض اليمن ، فبلغ خبره الحجاج ، فشدد في طلبه حتى ظفر به ، فأمر بحبسه ، فحبس . فنظم في سجنه قصيدة جميلة يرثي بها نفسه ، ويحن الى بلاده ، ويستعطف الحجاج بقوله :

أحاذر صولة الحجاج ظلماً ، وما الحجاج ظلام لجـــان

فبلغ شعره الحجاج ، فأحضره بين يديه ، وقال : أيما احب اليك ، ان اقتلك بالسيف ، او ألقيك للسباع ؟ فقال : اعطني سيفاً ، وألقني للسباع . فأعطاه سيفاً ، وألقاه الى اسد مجوع ، فزأر الاسد ، وتلقـاه جحدر بالسيف ففلق هامتـه . فاعجب به الحجاج ، واكرمه وجعله من اصحابه .

٣ تمام البيت عن مطمح الانفس : يجود ، ويشكو حزنه ، فيجيد .

وهل كنتُ في العُشّاقِ أوّلَ عاشِقٍ،
هَوَتْ بحِجاهُ أعْيُنٌ وخُدُودُ؟[1]

فمَنْ مُبْلِغُ الفِتْيانِ أنّيَ بَعْدَهُم
مُقِيمٌ بدارِ الظّالِمينَ طَرِيدُ[2]

ولستُ بذي قَيْدٍ يَرِقُّ، وإنّما
على اللحظِ من سُخْطِ الإمامِ قُيُودُ[3]

فبكى لها طويلاً. ثم قال: أنشِدْني قطعةً من مجونِك، فقد بعُدَ عهدي بمثلِك. فأنشدتُه[4]:

وناظِرَةٍ تحتَ طَيِّ القِناعِ،
دعاها إلى اللهِ والخيرِ داعِ

سَعَتْ بابنِها تَبْتَغِي مَنزِلاً،
لِوَصْلِ التَّبَتُّلِ والإنقِطاعِ

---

١ اول عاشق: في مطمح الانفس: اول عاقل.
٢ طريد: في المطمح: وحيد.
٣ يرق: في المطمح: يرث.
٤ قال الفتح بن خاقان في المطمح ما ملخصه: قعد الوزير ابو عامر بن شهيد، بباب الصومعة من الجامع في لمة من الاخوان، فمرت جارية من أعيان أهل قرطبة، معها من جواريها من يسترها ويواريها، وهي ترتاد موضعاً لمناجاة ربها، منتقبة خائفة ممن يرقبها، وأمامها طفل لها، فلما وقعت عينها على أبي عامر، ولت سريعة خيفة ان يثب بها، أو يشهرها باسمها، فلما نظرها قال هذه الابيات، ففضحها بها وشهرها.

فجاءتْ تهادى كمثل الرؤوم ،
تُراعي غزالاً بأعلى يفاع [1]

تثنتْ تبختُرَ في مَشْيِها ،
فحلّتْ بوادٍ كثيرِ السباع

وريعتْ حِذاراً على طفلِها ،
فنادَيتُ : يا هذه لا تُراعي !

فولّتْ وللمِسْكِ من ذيلِها ،
على الأرضِ خطٌّ كظهرِ الشجاع [2]

فلما سمع هذا البيتَ قامَ يرقُص به ويردّده ، ثم أفاق ، ثم قال : هذا واللهِ شيءٌ لم نُلهَمْه نحن . ثم استدناني فدنَوتُ منه فقبّلَ بين عينَيّ ، وقال : اذهَبْ فإنّك مُجاز . فانصرفنا عنه وانحدرنا من الجبل .

صاحب ابي الطيب

فقالَ لي زُهَير : ومَن تُريدُ بعد ؟ قلتُ له : خاتِمةَ

---

١ الرؤوم : العاطفة على ولدها ، والمراد بها الظبية . بأعلى يفاع : في نفح الطيب: بروض البقاع .

٢ الشجاع : ذكر الحية .

القومِ صاحبَ أبي الطيِّب ؛ فقال : اشْدُدْ لهُ حيازيمَكَ[1] ، وعطِّرْ له نَسيمَكَ ، وانثُرْ عليهِ نُجومَكَ . وأمالَ عِنانَ الأدْهَمِ الى طريقٍ ، فجعلَ يَرْكُضُ بنا ، وزُهَيرٌ يتأمَّلُ آثارَ فَرَسٍ لمَحناها هناك . فقلتُ له : ما تتبُّعُكَ لهذه الآثار؟ قالَ : هي آثارُ فرسِ حارثةَ بنِ المغلِّس صاحبِ أبي الطيِّب ، وهو صاحبُ قَنْص . فلم يزل يتقرَّاها حتى دفَعْنا[2] الى فارسٍ على فرسٍ بَيضاء كأنَّه قَضيبٌ على كَثيب ، وبيدهِ قَناةٌ قد أسندَها الى عُنُقِه ، وعلى رأسهِ عمامةٌ حمراء ، قد أرخى لَها عَذَبةً[3] صفراء . فحيَّاه زُهَير ، فأحسَنَ الرَّدَّ ناظراً من مقلةٍ شَوساء[4] ، قد مُلِئَت تيهاً وعُجباً . فعرَّفَه زُهَيرٌ قَصدي ، وألقى إليه رَغبَتي . فقال : بلَغَني أنَّه يتناوَل[5] ؛ قلتُ : للضَّرورة الدافِعة ، وإلاَّ فالقَريحةُ غيرُ صادِعَة[6] ، والشَّفْرة غيرُ قاطعة . قال : فانشِدني ؛ وأكبوتُه أن أستَنشِدَه ، فأنشدتُه قصيدَتي التي أوَّلُها :

---

١ الحيازيم : جمع الحيزوم ، وهو ما استدار بالظهر والبطن ، يقال : شد للامر حيازيمه ، اي استعد له وتهيأ .

٢ دفعنا : اي دفعنا فرسنا ، اصطلحوا في هذا الفعل على حذف المفعول .

٣ العذبة : طرف العمامة يسيل من خلفها .

٤ مقلة شوساء : اي عين ناظرة بمؤخرها تكبراً ، أو تغيظاً .

٥ يتناول : اي يأخذ عن غيره ، او يأخذ الأشياء القريبة المنال .

٦ قريحة صادعة : اي قاطعة او مشرقة نيرة .

أبَرقٌ بَدا أمْ لَمعُ أبْيَضَ قاصِلِ[1]

حتى انتهيتُ فيها الى قولي :

تَرَدَّدَ فيها البَرقُ حَتَّى حَسِبتُهُ
يُشيرُ الى نَجْمِ الرُّبى بالأنامِلِ

رُبًى نَسَجَتْ أيْدي الغَمامِ لِلُبسِها
غَلائلَ صُفْراً ، فَوقَ بِيضِ غَلائِلِ

سَهِرتُ بِها أرعى النُّجُومَ وأنجُماً
طَوالِعَ للرّاعِينَ ، غَيرَ أوافِلِ[2]

وقَد فَغَرَتْ فاها بِها كلُّ زَهرَةٍ ،
الى كلِّ ضَرعٍ للغَمامَةِ حافِلِ

ومَرَّتْ جُيُوشُ المُزنِ رَهواً ، كأنَّها
عَساكِرُ زَنْجٍ مُذهَباتُ المَناصِلِ[3]

وحَلَّقَتِ الخَضراءُ في غُرِّ شُهْبِها ،
كَلُجَّةِ بَحرٍ كُلِّلَتْ بالبَعالِلِ[4]

---

١ قاصل : قاطع ، وتمام البيت عن اليتيمة : ورجع شدا ، ام رجع اشقر صاهل.
٢ وأنجماً : أي أنجم زهر الربى ، من أصفر وأبيض .
٣ رهواً : اي متتابعة .
٤ الخضراء: السماء. البعالل: جمع بعلول، وهو السحاب الأبيض، او القطعة منه.

تَخالُ بها زُهرَ الكَواكِبِ نَرجِساً ،
عَلى شَطِّ وادٍ للمَجَرَّةِ سائِلِ

وتلْمَحُ مِنْ جَوزائِها في غُرُوبِها
تَساقُطَ عَرشٍ واهِنِ الدِّعْمِ مائِلِ

وتَحْسَبُ صَقراً واقِعاً دَبَرانَها ،
بِعُشِّ الثُّرَيّا فَوقَ حُمرِ الحَواصِلِ [1]

وبَدرَ الدُّجى فيها غَدِيراً ، وحولَهُ
نُجُومٌ كَطَلعاتِ الحَمامِ النَّواهِلِ

كأنَّ الدُّجى هَمِّي ، ودَمعِي نُجُومُه ،
تَحَدُّرُ إشفاقاً لِدَهْرِ الأراذِلِ [2]

هَوَتْ أنجُمُ العَلْياءِ إلاَّ أقلَّها ،
وغِبْنَ بما يَحظى بهِ كلُّ عاقِلِ

وأصبَحْتُ في خَلْفٍ اذا ما لَمَحْتُهُم
تبَيَّنْتُ أنَّ الجهلَ إحدى الفضائلِ [3]

---

١ الدبران : منزل للقمر ، مشتمل على خمسة كواكب في برج الثور . الحواصل : جمع حوصلة ، وهي من الطائر بمنزلة المعدة للانسان ، وفيها مراعاة النظير لعش الثريا .

٢ اشفاقاً : خوفاً وشفقة .

٣ الخلف بالتسكين : بمعنى الخلف بالتحريك ، ولكنها تختص بخلف السوء .

وما طابَ في هذي البَريّةِ آخِرٌ،
إذا هو لم يَنْجَدْ بطيبِ الأوائل

أرى حُمُراً فوقَ الصّواهِلِ جَمَّةً،
فأبكي بعَيْني ذُلَّ تلكَ الصّواهِلِ[1]

ورُبَّتَ كُتّابٍ إذا قيلَ: زوِّرُوا،
بَكَتْ مِنْ تأنّيهِمْ صُدُورُ الرّسائلِ[2]

وناقِلِ فِقْهٍ لم يَرَ اللهَ قلبُه؛
يَظُنُّ بأنَّ الدِّينَ حِفْظُ المَسائِلِ

وحامِلِ رُمْحٍ راحَ، فوقَ مَضائِه،
به كاعِباً في الحيِّ ذاتَ مَغازِلِ[3]

حُبُوا بالمُنى دُوني، وغُودِرْتُ دونَهم
أرُودُ الأَمانِي في رِياضِ الأباطِلِ

وما هي إلاّ هِمَّةٌ أشْجَعِيَّةٌ،
ونَفْسٌ أَبَتْ لي مِن طِلابِ الرَّذائلِ

---

١ حمراً : جمع حمار ، والمراد فرسان كالحمر .

٢ زوروا : يقال زور الحديث : ثقفه وازال زوره اي اعوجاجه ، والشيء قومه وحسنه .

٣ الكاعب: الجارية تنأ نهدها. والمراد ان حامل الرمح يشبه جارية تحمل مغزلا.

وفَهْمٍ لو البِرْجيسُ جِئْتُ بجَدِّه ،
إذاً لتَلَقَّاني بنَحْسِ المُقاتِلِ[1]

ولَمَّا طَما بحرُ البيانِ بفِكرتي ،
وأغرَقَ قَرْنَ الشمسِ بعضُ جداولي

رَحَلْتُ الى خيرِ الورى كلُّ حُرَّةٍ
مِن المدحِ ، لم تَخْمُلْ بِرَعْيِ الخمائلِ[2]

وكِدتُ لِفَضْلِ القولِ أبلُغُ ساكِتاً ،
وإنْ ساءَ حُسَّادي مدى كلِّ قائِلِ

فلمَّا انتهيتُ قال : أنشِدْني أشَدَّ من هذا . فأنشدتُه قصيدتي :

هاتِيكَ دارُهُمُ فقِفْ بِمَعانِيها[3]

فلمَّا انتهَيتُ ، قال لزهير : إن امتَدَّ به طَلَقُ العُمُرِ[4] ، فلا بُدَّ أن ينفثَ بدُرَر ، وما أُراه إلاَّ سيُحتَضَر ، بين قريحةٍ كالجمْر ، وهِمَّةٍ تَضَعُ أخْمَصَه على مَفرِقِ البَدْر .

---

١ البرجيس : المشتري ، وهو كوكب سعد . جده : حظه . المقاتل : اراد به المريخ ، وهو كوكب الحدة والحرب

٢ رعي الخمائل : اراد به التكسب بالمدح .

٣ معانيها : منزلها . وتمام البيت : تجد الدموع تجد في هملانها .

٤ الطلق : الغاية ، والحبل المفتول ، وكلاهما صالح للمعنى .

فقلت : هلاّ وضعتَه على صلعةِ النسر[1] ! فاستضحكَ إليّ وقال : اذهب فقد أجزتك بهذه النكتة . فقبّلتُ على رأسه وانصرفنا .

النسر : الطائر المعروف ، وكوكبان ، احدهما النسر الواقع والآخر النسر الطائر ، فكلامه فيه تورية ، وفيه مجاز أيضاً ، فقوله صلعة النسر ، اي نسر الشعراء ، ويريد به صاحب المتنبي .

obeikandl.com

الفصل الثاني

توابع الكتاب

صاحبا الجاحظ وعبد الحميد

فقال لي زُهير : مَن تريد بعدَه ؟ فقلت : مِلْ بي الى الخُطباء ، فقد قضَيتُ وطَراً من الشعراء . فركَضنا حِيناً طاعِنين في مَطلَع الشمس ، ولقينا فارساً أسرَّ الى زُهير ، وانجزعَ عنّا[1] ، فقال لي زُهير : جُمِعتْ لكَ خُطباءُ الجِنِّ بِمَرْجِ دُهْمان ، وبيننا وبينهم فرسخان ، فقد كُفِيتَ العَناءَ إليهمْ على انفِرادِهم . قلت : لمَ ذاك ؟ قال : للفَرْقِ بين كلامَين اختلفَ فيه فِتْيانُ الجِنّ .

وانتهَيْنا الى المَرْج فإذا بنادٍ عظيم ، قد جمَع كلَّ زعيم ،

---

١ انجزع عنا : اي انقطع عنا .

فصاح زُهير : السلامُ على فُرسانِ الكلام . فردُّوا وأشاروا بالنُّزول. فأفرَجوا حتى صِرنا مركزَ هالةِ مجلسِهم ، والكلُّ منهم ناظرٌ الى شيخٍ أصلع ، جاحظِ العينِ اليُمنى ، على رأسِه قلَنْسُوَةٌ بيضاءُ طويلة . فقلتُ سِرّاً لزهير : مَنْ ذلك ؟ قال : عُتْبةُ بن أرقَم صاحبُ الجاحِظ ، وكُنْيتُه أبو عُيَيْنة. قلتُ : بأبي هو ! ليس رغبتي سِواه ، وغيرَ صاحبِ عبدِ الحميد. فقال لي : إنه ذلك الشيخُ الذي الى جنبه . وعرَّفه صَغْوي إليه[1] وقولي فيه . فاستدناني وأخذ في الكلام معي ، فصمَتَ أهلُ المجلِس ، فقال : إنك لخطيب ، وحائكٌ للكلام مُجيد ، لولا أنَّك مُغْرًى بالسَّجع ، فكلامُك نظمٌ لا نثر .

فقلتُ في نفسي : قرعَكَ ، باللهِ ، بقارعَتِه ، وجاءك بمُماثَلَتِه[2]. ثم قلت له : ليسَ هذا ، أعزَّك الله ، منّي جهلًا بأمرِ السَّجع ، وما في المماثلَة والمقابلةِ[3] من فَضْل ، ولكنّي عدِمتُ ببلَدي

---

١ صغوي اليه : ميلي اليه .

٢ المماثلة : هي ان تكون الفاظ الفواصل والقرائن في الكلام المنثور متفقة في الوزن لا في التقفية نحو : وآتيناهما الكتاب المستبين ، وهديناهما الصراط المستقيم . او قول الجاحظ : من مدحه بالخير والشر ، وبالحمد والذم ، حتى ذكر في القرآن مرة بالحمد ، ومرة بالذم .

٣ المقابلة : هي ان يؤتى بعدد من المتوافقات ، ثم يؤتى بما يقابله من الأضداد على الترتيب ، مثل قول الشاعر :

اذكى وأوقد للعداوة والقرى نارين : نار وغى ، ونار زناد

فُرْسانَ الكلام ، ودُهيتُ بغباوةِ أهل الزمان ، وبالحَرَا[1] أن أحرّكَهم بالازدواج . ولو فرَشتُ للكلامِ فيهم طَولقاً[2]، وتحركت لهم حركة مَشُوْلم[3] ، لكان أرفعَ لي عندَهم ، وأولجَ في نفوسِهم .

فقال : أهذا على تلك المناظر ، وكِبَرِ تلك المَحابر ، وكمال تلك الطيالِس ؟ قلتُ : نعم ، إنّها لِحاءُ الشجر[4] ، وليس ثَمَّ ثَمَرٌ ولا عَبَق . قال لي : صَدقتَ ، إني أراكَ قد ماثلْتَ[5] معي . قلت : كما سمعت . قال : فكيف كلامُهم بينَهم ؟ قلت : ليس لسيبويهِ فيه عمَل ، ولا للفَراهيدي[6] إليه طريق ، ولا للبَيانِ عليه سِمة . إنّما هيَ لُكنةٌ أعجَميّةٌ يُؤدّون بها المعانيَ تأديةَ المَجوس والنَّبَط . فصاحَ : إنّا للهِ ، ذهبت العربُ وكلامُها ! ارمِهِمْ يا هذا بسَجعِ الكُهّان ، فعَسى أنْ ينفعَك عندَهم ، ويُطيرَ لك ذِكْراً فيهم . وما أراك ، مع

---

١ بالحرا : يقال : بالحرا ان يكون ذلك ، اي بالخليق .

٢ الطولق : نبات .

٣ مشولم : لعله مشولين كمسوقين ، اي فتيان ، واحده مشول كمقعد ، كما في معجم دوزي ، وهو اصطلاح مغربي ، أو لعله شولم ، اشارة الى الرقية التي خدع الغني بها اللصوص في كليلة ودمنة .

٤ اللحاء : القشر .

٥ ماثلت : اتيت بالمماثلة .

٦ الفراهيدي : اي الخليل .

ذلك ، إلاّ ثقيلَ الوطْأةِ عليهم ، كَريهَ المَجيءِ إليهم .

فقال الشيخ الذي الى جانبه ، وقد علمتُ أنّه صاحبُ عبد الحميد ، ونفسي مرتقبةٌ الى ما يكون منه : لا يَغُرَّنْكَ منه ، أبا عُيَيْنَةَ ، ما تكلّف لك من المُماثلة ، إنّ السَّجعَ لَطبعُه ، وإنّ ما أسمَعَك كُلْفة . ولو امتَدّ به طَلَقُ الكلام ، وجرت أفراسُه في مَيْدان البَيان ، لصلّى كَودَنُه[1] وكَلّ بُرْثُنُه . وما أُراهُ إلاّ من اللُّكْنِ الذين ذَكَر ، وإلاّ فما للفصاحةِ لا تَهدِر ، ولا للأعْرابيّةِ لا تُومِض ؟

فقلت في نفسي : طبعُ عبدِ الحميد ومساقُه ، وربّ الكعبة ! فقلت له : لقد عجِلْتَ ، أبا هُبَيرة ، — وقد كان زهيرٌ عَرّفني بكُنْيَتِه — إنّ قوسَكَ لنَبْع[2] ، وإنّ ماءَ سَهْمِكَ لَسُمّ ، أحِماراً رميتَ أم إنساناً ، وقَعْقَعةً طلبْتَ أم بَياناً؟ وأبيك ، إنّ البيانَ لَصَعْب ، وإنك منه لفي عباءةٍ تتكشّفُ عنها أَسْتاهُ مَعانيك ، تكشّفَ استِ العَنْز عن ذَنَبِها . الزمانُ دِفءٌ لا قُرّ ، والكلامُ عراقيّ لا شاميّ[3] . إني لأرى

---

١ صلى : اتى الفرس في الرهان بعد السابق . الكودن : الفرس الهجين .

٢ النبع : شجر صلب تصنع منه القسي .

٣ عراقي لا شامي : تعريض بعبد الحميد لانه شامي والجاحظ عراقي .

من دَمِ اليَربُوع[1] بكَفَّيْك ، وألْمِحْ من كُشَى[2] الضَّبِّ على ماضِغَيْك . فتبسَّم إليَّ وقال : أهكذا أنت يا أُطَيْلِس[3] ، تركَبُ لكلِّ نهْجَه ، وتَعِجُّ اليه[4] عَجَّه ؟ فقلت : الذِّئبُ أطلَس ، وإنَّ التَّيْسَ ما عَلِمْت !

فصاح به أبو عُيَيْنَة : لا تعرِضْ له ، وبالحَرا أن تَخْلُصَ منه . فقلت : الحمْدُ للهِ خالقِ الأنامِ في بطونِ الأنعام[5] ! فقال : إنَّها كافيةٌ لو كان له حِجْر[6] . فبَسَطاني وسألاني أن أقرأ عليهما من رسائِلي ، فقرأتُ رسالتي في صِفة البَرْدِ والنارِ والحطَب فاستحسناها .

---

١ اليربوع : نوع من الفار طويل الرجلين ، قصير اليدين ، وله ذنب كذنب الجرذ يرفعه صعداً ، في طرفه شبه النوارة ، ولونه كلون الغزال ، يصطاده الاعراب ويأكلونه .

٢ الكشى: جمع الكشية بالضم، شحمة بطن الضب او اصل ذنبه، يأكلها الاعراب، ومنه قولهم : اطعم أخاك كشية الضب ، وهو حث على المؤاساة ، وقيل بل هزء به . والمراد بذلك انه يعير عبد الحميد ببداوة تعبيره لانه شامي وليس كالجاحظ العراقي حضري التعبير .

٣ الاطيلس : تصغير الاطلس ، وهو الذئب الامعط في لونه غبرة الى سواد ، والرجل اذا رمي بقبيح ، والسارق .

٤ عج اليه : صاح ورفع صوته ، والمراد بذلك انه يسلك طريقه ، ويجري على اسلوبه .

٥ الانعام : الابل .

٦ الحجر : العقل .

ومن رسالتي في الحَلواءِ حيث أقول :

خرجتُ في لُمَّةٍ[1] من الأصحاب ، وثُبَةٍ[2] من الأتراب ، فيهم فقيهٌ ذو لَقْم[3] ، ولم أعرِفْ به ، وغَريم[4] بطنٍ ، ولم أشعُرْ له[5] ، رأى الحَلوى فاستخفَّه الشَّرَه ، واضطرَب به الوَلَه ، فدار في ثيابه ، وأسالَ من لُعابه ، حتى وقَفَ بالأكداس[6] وخالطَ غَمارَ النَّاس[7] ، ونظر الى الفالُوذَج[8] فقال : بأبي هذا اللَّمْص[9] ، انظُروه كأنَّه الفَصّ ؛ مُجاجَةُ الزنابير[10] ، أُجرِيَتْ على شوابير[11] ، وخالَطها لبابُ الحَبَّة ،

---

* تختلف رواية الذخيرة لرسالة الحلواء عن رواية يتيمة الدهر بعض الاختلاف .

١ اللمة بالضم : الصاحب او الاصحاب في السفر ، والمؤنس ، للواحد والجمع .

٢ الثبة : الجماعة .

٣ اللقم : سرعة الاكل .

٤ الغريم : صاحب الدين يطالب به مديونه ، والمديون الذي يطالبه صاحب الدين .

٥ شعر له : فطن له ، على التضمين .

٦ الاكداس : اي انواع الطعام .

٧ غمار الناس : لفيفهم وجمعهم المتكاثف .

٨ الفالوذج : حلواء تعمل من الدقيق والماء والعسل .

٩ اللمص : الفالوذج .

١٠ مجاجة الزنابير : اي ريق النحل .

١١ شوابير : لم نجد له ذكراً في ما بين ايدينا من المعجمات ، الا معجم دوزي ويظهر ان المراد به قطع لها شكل الزاوية ، كتقطيع الفالوذج ، وغيره من الحلواء .

فجاءتْ أعذبَ من ريقِ[1] الأحبّة .

ورأى الخَبيصَ[2] فقال : بأبي هذا الغالي الرّخيص ، هذا جليدُ سماءِ الرّحمة ؛ تَمَخَّضَتْ به فأبرزتْ منه زُبْدَ النِّعْمة ، يُجْرَحُ باللَّحْظ ، ويذوبُ من اللَّفْظ . ثم ابيضَّ ، قالوا بماء البَيْضِ[3] البضّ ، قال : غضٌّ من غَضّ ، ما أطيبَ خَلْوةَ الحبيب ، لولا حضْرةُ الرَّقيب !

ولمحَ القُبَيْطاءَ[4] ، فصاح : بأبي نُقْرةُ[5] الفضّة البيضاء ، لا تَرُدُّ عن العَضّة . أبِنارٍ طُبِخَتْ أم بِنُور ؟ فإني أراها كقِطَعِ البَلُّور ؛ وبلوزٍ عُجِنَتْ أم بِجَوز ؟ فإني أراها عينَ عَجينِ الموز . ومشى إليها وقد عدّل صاحبُها أرطالَ نُحاسِه ، وعلّق قِسطاسَه[6] مِنْ أُمِّ راسِه ؛ فقال : رِطْلٌ بدرهَمَين ، وانتهشَها بالنّابَين ، فصاحَ : القارعة[7] ما القارعة ؟!

---

١ ريق : في الاصل ألسنة ، والتصحيح عن يتيمة الدهر .

٢ الخبيص : حلواء تصنع من العسل والدقيق ، او من التمر والسمن ، او من الدبس والارز .

٣ ماء البيض : اي زلال البيض .

٤ القبيطاء : الناطف ، وهي الحلوى البيضاء التي تؤكل مع السنبوسق ، وتعرف عندنا بكرابيج حلب .

٥ النقرة : القطعة المذابة من الذهب او الفضة .

٦ القسطاس : الميزان .

٧ القارعة : اي القيامة التي تقرع القلوب باهوالها .

هيه[1] ! ويلٌ للمرءِ منْ فيه !

ورأى الزّلابيّة ، فقال : ويلٌ لأمّها الزانية ، أبأحشائي نُسِجَتْ ، أم مِنْ صِفاقِ قلبي[2] أُلّفَتْ ؟ فإني أجدُ مكانَها مِنْ نفسي مكيناً ، وحَبْلَ هواها على كَبِدي متيناً ، فمن أين وصلتْ كفُّ طابخِها الى باطني ، فاقتطعَتْها من دواجِني[3] ؟ والعزيزِ الفتّار ، لأطلبنّها بالثّار ! ومشى إليها ، فتلمّظ[4] له لسانُ الميزان ، فأجفلَ يصيحُ : الثُّعبانَ الثُّعبان !

ورُفع له تمرُ النّشا[5] ، غيرَ مَهْضُومِ الحَشا ، فقال : مَهْيَم[6] ! من أينَ لكم جَنى نخلةِ مَريم[7] ؟ ما أنتم إلاّ السُّحّار ، وما جَزاؤكم إلاّ السّيفُ والنّار . وهمّ أن يأخذَ منها . فأثبَتَ[8] في صدرِه العَصا ، فجلس القُرفُصا ، يُذري الدُّموع ، ويُبدي الخُشُوع . وما منّا أحد إلاّ عن الضّحِك قد تجلّد . فرقّتْ

---

١ هيه : كلمة استزادة ، او كلمة تقال لشيء يطرد .
٢ صفاق القلب : اي غشاؤه .
٣ دواجني : اي احشائي التي الفت باطني .
٤ تلمظ : اي خرج لسانه وتحرك .
٥ تمر النشا : الظاهر انه حلواء تصنع من التمر والنشا .
٦ مهيم : اسم فعل للامر ، ومعناه اخبرني .
٧ نخلة مريم : اشارة الى الآية في سورة مريم : « وهزي اليك بجذع النخلة ، تساقط عليك رطباً جنياً . »
٨ فاثبت : الضمير يعود الى الحلواني .

له ضُلوعي ، وعلمتُ أنَّ اللهَ فيه غيرُ مُضيعي . وقد تَجمُل الصَّدقةُ على ذوي وَفْر ، وفي كلِّ ذي كَبِدٍ رَطْبةٍ أجْر. فأمرْتُ الغلامَ[1] بابتياع أرطالٍ منها تجمَعُ أنواعَها التي أطاقتْه وتحتوي على ضُروبها التي أضرَعتْه[2]، وجاء بها وسِرنا الى مكانٍ خالٍ طيِّب ، كوصف المُهَلَّبي[3]:

خانَ تَطيبُ لِباغي النَّسْكِ خلوَتُه ،
وفيه سَترٌ على الفُتَّاكِ إنْ فتَكُوا[4]

فصَبَّها رَطْبةَ الوُقوع ، كراديسَ كقِطَعِ الجُذوع ؛ فجعَلَ يقطَعُ ويبلَعُ، ويَدحُوه[5] فاه ويَدفَع، وعَيناه تَبِصَّان كأنهما جَمْرتان ، وقد برَزَتا على وجهِه كأنَّهما خُصْيَتان ، وأنا أقولُ له : على رِسْلِكَ أبا فلان ! البِطنةُ تُذهِبُ الفِطنة ! فلمّا التَقَمَ جُمْلةَ جَماهيرِها ، وأتى على مآخيرِها ، ووصَل خَورَنَقَها بسَديرِها[6]، تَجَشَّأ فهَبَّت منه ريحٌ عَقيم[7]، أيْقَنَّا

---

١ الغلام : في الاصل الحلواني ، والتصحيح عن يتيمة الدهر .
٢ اضرعته : اذلته .
٣ المهلبي : هو ابو محمد المهلبي الشاعر ، وزير معز الدولة بن بويه .
٤ الفتاك : اصحاب المجون .
٥ يدحو : يبسط .
٦ الخورنق والسدير : قصران في الحيرة للنعمان الاكبر ، وقيل السدير ، موضع في الحيرة او نهر .
٧ ريح عقيم : اي لا تلقح سحاباً ولا شجراً .

لها بالعذاب الأليم . فتفرّقنا شذر مذر ، وفرّقنا شغر بغر[1] ، فالتمسنا منه الظربان[2] ، وحدّق الخبر فيه العيان : نفح ذلك فشرّد الأنعام[3] ، ونفخ هذا فبدّد الأنام ، فلم نجتمع بعدها ، والسلام .

فاستحسناها ، وضحكا عليها ، وقالا : إنّ لسجعك موضعاً من القلب ، ومكاناً من النفس ، وقد أعرتَه من طبعك ، وحلاوة لفظك ، وملاحة سوقك ، ما أزال أفنه[4] ، ورفع غبنه[5] ، وقد بلغنا أنّك لا تجازى في أبناء جنسك ، ولا يسلّ من الطعن عليك ، والاعتراض لك . فمَنْ أشدّهم عليك ؟ قلت : جارانِ دارهما صقب[6] ، وثالثٌ نابتُه نوب ، فامتطى ظهر النوى ، وألقت به في سرقسطة المصا . فقالا : الى أبي محمدٍ تشير ، وأبي القاسم وأبي بكر ؟ قلت : أجل . قالا : فأين بلغتَ فيهم ؟ قلت : أمّا أبو محمدٍ فانتضى عليّ لسانه عند المستعين[7] ، وساعدته

---

١ فرقتنا شغر بغر : اي فرقتنا في كل وجه مثل شذر مذر .

٢ الظربان : دويبة كالهرة نتنة الريح .

٣ نفح : اخرج ريحه . ذلك : اي الظربان . الانعام : في يتيمة الدهر : النعام .

٤ الافن : النقص .

٥ الغبن : الغيم ، والغشاء والالباس .

٦ الصقب : القريب للمذكر والمؤنث ، والقرب .

٧ المستعين : الخليفة الاموي سليمان بن الحكم الذي انتقلت الخلافة في قرطبة بعد مقتله الى علي بن حمود الادريسي .

زرافة[1] استهواها من الحاسدين ، وبلغني ذلك فأنشدته شعراً ، منه :

وبُلِّغْتُ أقواماً تَجيشُ صدورُهمْ
عَليَّ ؛ وإني منهمُ فارغُ الصَّدْرِ

أصاخُوا الى قولي فأسْمَعْتُ مُعْجِزاً ،
وغاصُوا على سِرِّي فأعْياهُمُ أمري

فقال فريقٌ : ليس ذا الشِّعْرُ شِعْرَهُ ؛
وقال فريقٌ : أَيْمُنُ اللهِ ، ما نَدري[2]

أما عَلِمُوا أني الى العِلْمِ طامِحٌ ؛
وأني الذي سَبْقاً على عِرْقِهِ يَجْري ؟

وما كلُّ مَنْ قادَ الجِيادَ يَسُوسُها ؛
ولا كلُّ من أَجْرى يُقالُ له : مُجْري

فمَنْ شاءَ فليَخْبُرْ فإنِّيَ حاضرٌ ؛
ولا شيءَ أجلى للشُّكُوكِ من الخُبْرِ

وأمّا أبو بكرٍ فأقْصَر ، واقتَصَر على قوله : له تارةٌ

---

١ الزرافة : الجماعة من الناس ، او العشرة منهم .
٢ الايمن : جمع اليمين ، اي القسم ، وهذا مثل قولك : فقلت : يمين الله .

تؤيّده. وأمّا أبو القاسم الافليلي[1] فمكانه من نفسي مكين، وحبّه بفؤادي دخيل؛ على أنه حاملٌ عليّ، ومنتسب إليّ.

صاحب الافليلي

فصاحا: يا أنفَ النّاقةِ بنَ مَعْمَرٍ، مِن سُكّانِ خَيْبَرا! فقام إليهما جِنّيٌّ أشمَطُ رَبْعةٌ وارِمُ الأنْف، يتظالَعُ[2] في مِشْيَته، كاسِراً لطَرْفِه، وَواوِياً لأنفِه، وهو يُنْشِد:

قَومٌ هُمُ الأنفُ والأذنابُ غيرُهُمُ،
ومَنْ يُسَوّي بأنفِ الناقةِ الذَّنَبا؟[3]

فقالا لي: هذا صاحبُ أبي القاسم، ما قولُك فيه يا أنفَ النّاقة؟ قال: فتىً لم أعرِفْ على مَنْ قرأ. فقلتُ لنفسي: العصا من العُصَيّة[4]! إن لم تُعرِبي عن ذاتِك، وتُظْهِري

---

١ الافليلي: قال ابن حيان، وكان ابو القاسم المعروف بابن الافليلي، قد بذ اهل زمانه بقرطبة في علم اللسان العربي، والضبط لغريب اللغة، وكان راكباً رأسه في الخطأ البين يجادل عليه، ولا يصرفه صارف عنه.

٢ يتظالع: يغمز في مشيته.

٣ هذا البيت للحطيئة في مدح بني انف الناقة.

٤ العصا: فرس لجذيمة بن الابرش. العصية امها، ومنه المثل: لا يلد العصا غير العصية، اي ان الفرع يشبه الاصل، كما يشبه الافليلي انف الناقة.

بعضَ أدواتِك ، وأنتِ بينَ فُرسانِ الكلامِ ، لم يَطِرْ لكِ بعدَها طائر ، وكنتِ غَرَضاً لكلِّ حَجرٍ عابر .

وأخذتُ للكلامِ أُهْبتَه ، ولبِستُ للبيانِ بِزَّتَهُ ، فقلتُ : وأنا أيضاً لا أعرِف على مَن قرأت . قال : أليمِثلي يُقال هذا ؟ فقلت : فكان ماذا ؟ قال : فطارِحْني كتابَ الخليل. قلتُ : هو عِندي في زِنْبيل . قال : فناظِرني على كتابِ سِيبَوَيْه . قلتُ : خَرِيت الهِرَّةُ عندي عليه ، وعلى شرح ابن دَرَسْتَوَيْه . فقال لي : دعْ عنكَ ، أنا أبو البَيان . قلت : لاهَ اللهُ[1] ! إنما أنتَ كمُمَنٍّ وَسَط ، لا يُحسِنُ فيُطرِب ، ولا يُسِيءُ فيُلهِي[2]. قال : لقد علَّمنيه المؤدِّبُون . قلت : ليس هو من شأنِهم ، إنما هو من تعليم اللهِ تعالى حيثُ قال : « الرَّحْمَنُ عَلَّمَ القُرآنَ خَلَقَ الانسانَ عَلَّمَهُ البَيان . » ليسَ من شِعرٍ يُفَسَّر ، ولا أرضٍ تُكَسَّر . هيهات ، حتى يكونَ المِسْكُ من أنفاسِك ، والعَنْبرُ من أنْقاسِك[3]؛ وحتى يكون مَساقُكَ عَذباً ، وكلامُك رَطْباً ، ونَفَسُك مِنْ

---

١ لاه : تستر وعلا وارتفع . وجوز سيبويه اشتقاق اسم الجلالة منه ، ولاه الله بمعنى تعالى الله .

٢ ألهى : ترك الشيء عجزاً .

٣ الانقاس : جمع النقس ، وهو المداد .

نَفْسِك ، وقَلِيبُك[1] من قليبك ؛ وحتى تتناولَ الوضيعَ فترفعَه ؛ والرفيعَ فتضعَه ، والقبيحَ فتحسّنَه !

قال : أسمِعْني مِثالاً . قلت : حتى تَصِفَ بُرغُوثاً فتقول :

صفة برغوث

أسْودُ زَنْجِيّ ، وأهليٌّ وحْشِيّ ؛ ليس بِوانٍ ولا زُمَيْل[2] ، وكأنّه جُزءٌ لا يتجزّأ مِن ليل ؛ أو شُونِيزة[3] ، أوثقَتْها[4] غريزة ؛ أو نقطةُ مِداد ، أو سُوَيْداءُ قلبِ قُراد[5] ؛ شُربه عَبّ ، ومَشْيه وَثْب ؛ يكْمُنُ نهارَه ، ويَسْري ليلَه ؛ يدارك بطَعْنٍ مؤلم ، ويَستَحِلُّ دمَ كلّ كافرٍ ومُسلِم[6] ؛ مُساوِرٌ[7] للأساوِرة[8] ، يَجُرُّ ذَيلَه على الجبابرة ؛ يتكفّر[9] بأرفعِ الثّياب ، ويهتِكُ سِترَ كلّ حِجاب ، ولا يحفِلُ بِبَوّاب ؛

---

١ القليب : البئر .

٢ الزميل : الجبان الضعيف .

٣ الشونيزة : الحبة السوداء . في الاصل : وشونيزة ، والتصحيح عن يتيمة الدهر .

٤ اوثقتها : احكمتها .

٥ القراد : حلمة الثدي ، ودويبة تتعلق بالبعير ونحوه كالقمل في الانسان .

٦ يدارك : في الاصل يدرك ، والتصحيح عن يتيمة الدهر . كافر : ناقصة في الاصل ، والزيادة عن يتيمة الدهر .

٧ مساور : موائب .

٨ الاساورة : الفرسان الثابتون على ظهر خيولهم ، والذين يجيدون الرمي بالسهام .

٩ يتكفر : يتستر .

يرِدُ مَناهِلَ العَيشِ العَذبة ، ويصِلُ الى الأحراجِ[1] الرَّطْبة ، لا يَمنَعُ منه أمير ، ولا يَنفَعُ فيه غَيرةُ غَيور ، وهو أحقر كلِّ حقير ؛ شرُّه مَبْثوث ، وعَهدُه منكوث ، وكذلك كلُّ بُرغُوث ، كفى بهذا نَقْصاً للانسان ، ودلالةً[2] على قُدرةِ الرَّحمَن .

صفة ثعلب

وحتى تصِف ثعلباً فتقول : أدهى من عمرو[3] ، وأفتكُ من قاتِلِ حُذَيفةَ بن بَدْر[4] ؛ كثيرُ الوقائع في المسلمين ، مُغْرًى بإراقةِ دماءِ المؤذِّنين[5] ؛ إذا رأى الفُرصة انتَهَزَها ، وإذا طلَبتْه الكُماةُ أعجزَها ؛ وهو مع ذلك بُقْراط[6] في إدامِه[7] ، وجالينُوس[8]

---

١ الأحراج : جمع الحرج بالتحريك ، وهو المكان الضيق الكثير الشجر ويكنى به عن الحرمة ، ونرجح ان في الجمع تصحيفاً ، فهو بالحاء كما اورده الثعالبي في يتيمة الدهر .

٢ ودلالة : في الاصل : ودالا ، والتصحيح عن يتيمة الدهر .

٣ عمرو : اي ابن العاص .

٤ حذيفة بن بدر : سيد بني فزارة ، قتل في حرب داحس والغبراء .

٥ المؤذنين : جمع المؤذن ، وهو هنا الديك لانه يؤذن في الصباح ، كأنه يسبح لله .

٦ بقراط : اعظم طبيب يوناني في القديم .

٧ الادام : ما يؤتدم به من الطعام ، ويعرف بالدامة عند العامة .

٨ جالينوس : طبيب يوناني قديم اشتهر بالتشريح .

في اعتدال طعامه ، غداؤه حمامٌ أو دجاج ، وعشاؤه تدرُج[1] أو دُرّاج[2] .

صاحب بديع الزمان

وكان فيما يقابلني من نادرهم فتىً قد رماني بطرفه ، واتكأ لي على كفّه ، فقال : تحَيُّلٌ على الكلام لطيفٌ ، وأبيك ! فقلت : وكيفَ ذلك ؟ قال : أوَما علمتَ أنّ الواصفَ إذا وَصَف شيئاً لم يُنقدّم الى صفتِه ، ولا سُلّط الكلامُ على نعْتِه ، اكتفى بقليلِ الإحسان ، واجتزى[3] بيَسيرِ البَيان ؟ لأنه لم يتقدّمْ وصفٌ يُقرَنُ بوصفه ، ولا جرى مَساقٌ يُضافُ الى مساقِه . وهذه نُكتةٌ بغْداذِيّة ، أنّى لكَ بها يا فتى المغرِب ؟

فقلتُ لزُهير : مَنْ هذا ؟ قال : زُبْدةُ الحِقَب ، صاحب بديع الزمان . فقلتُ : يا زُبْدةَ الحِقَب ، اقترِحْ لي . قال :

---

١ التدرج : طائر جميل المنظر جداً ، يغرد في البساتين باصوات طيبة ، وموطنه بارض خراسان وفارس وغيرهما ، وهو شبيه بالدراج الا انه افضل منه لحماً .

٢ الدراج : طائر جميل المنظر ماون الريش ، زعموا ان لحمه يزيد في الدماغ والفطنة .

٣ اجتزى : اكتفى ، لغة في اجتزأ .

صِفْ جاريةً . فوصَفتُها . قال : أحسنتَ ما شئتَ أن تُحسِن ! قلتُ : أسمِعْني وصفَك للماء[1] ، قال : ذلك من العُقْم[2] . قلت : بحَياتي هاتِه ، قال : أزرقُ كعين السِّنَّور ، صافٍ كقَضيبِ البِلّور ؛ انتُخِبَ[3] من الفُرات[4] واستُعمِل ، بعد البَيات[5] ، فجاء كلسان الشَّمعة ، في صفاء الدمعة .

فقلتُ : انظُرْه ، يا سيِّدي ، كأنّه عصيرُ صباح ، أو ذَوبُ قمرٍ لَيّاح[6] ؛ يَنصَبُّ من إنائه ، انصبابَ الكوكبِ من سمائِه ؛ العَينُ[7] حانُوتُه ، والفمُ عِفْريتُه ، كأنّه خَيطٌ من غَزْلٍ فَلِق ، أو مِخصَرٌ يُضرَبُ به من وَرِق[8] ؛ يُرفَعُ عنكَ فتَردَى[9] ، ويُصْدَعُ[10] به قلبُكَ فتَحْيا .

---

١ وصف الماء لبديع الزمان في المقامة المضيرية .
٢ من العقم : اي لا يولد شبيه له .
٣ انتخب : في المقامة المضيرية : استقي .
٤ الفرات : الماء العذب ، او لعله اراد به دجلة ، لان قصة المضيرة وقعت في بغداد ، يقال : الفراتان ، اي الفرات ودجلة.
٥ البيات : اي ان يبيت الماء في اناء تحت السماء ليبرد، ويصفى .
٦ لياح : ابيض ناصع.
٧ العين : اي عين الماء .
٨ المخصر: رواية يتيمة الدهر : المخصرة ، وهي قضيب كان الامير يأخذه بيده ، يشير به ويصل به كلامه . الورق : الفضة .
٩ تردى : اي تهلك عطشاً .
١٠ يصدع : يشق .

فلما انتبهتُ في الصَّفَةِ ، ضَرَبَ زُبدةُ الحِقْبِ الأرضَ برِجْلِه ، فانفرَجَتْ له عن مثل بَرَهُوت[1] ، وتدَهْدى[2] إليها ، واجتمعتْ عليه ، وغابت عَينُه ، وانقطع أثرُه . فاستضحَك الأستاذان من فِعله ، واشتدَّ غيظُ أنفِ النَّاقةِ عليَّ .

رجع الى انف الناقة

فقال : وقعتْ لك أوصافٌ في شِعْرِك تظُنُّ أني لا أستَطيعُها ؟ فقلتُ له : وحتى تَصِف عارضاً[3] فتقول :

ومُرتَجِزٍ ألقى بذي الأثْلِ كَلْكَلا ،
وحَطَّ بجَرْعاءِ الأبارقِ ما حطَّا[4]

سَعى في قِيادِ الرِّيحِ يُسْمِحُ للصَّبا ،
فألقَتْ على غيرِ التِّلاعِ به مِرْطا[5]

---

١ برهوت : واد او بئر بحضرموت .

٢ تدهدى : تدحرج .

٣ العارض : السحاب المعترض في السماء .

٤ المرتجز : السحاب يتحرك بطيئاً لكثرة مائه ، ويتدارك صوت رعده الاثل : شجر عظيم يشبه الطرفاء . الجرعاء : الارض ذات الحزونة تشاكل الرمل ، او الكثيب ، جانب منه رمل ، وجانب حجارة . الابارق : جمع الابرق ، وهو غلظ فيه حجارة ورمل وطين مختلفة .

٥ على غير التلاع : اي على غير الاماكن المرتفعة . والتلاع مسايل المياه من الجبال والمرتفعات . المرط : كساء من صوف او خز .

وما زالَ يُروي التُّربَ حتى كسا الرُّبى
دَرانِكَ، والفِيطانَ من نسجِهِ بُسطا[1]

وعَنَّتْ له ريحٌ تُساقِطُ قَطرَهُ،
كما نَثَرَتْ حَسْناءُ من جِيدِها سِمْطا

ولم أرَ دُرّاً بَدَّدَتْهُ يدُ الصَّبا
سِواهُ، فباتَ النَّورُ يَلقُطُهُ لَقْطا

وبِتنا نُراعِي الليلَ لم نَطْوِ بُردَهُ،
ولم يَجرِ مَشيبُ الصُّبحِ في فَرْعِهِ وَخْطا

تَراهُ كمَلْكِ الزِّنجِ في فَرطِ كِبرِهِ،
إذا رامَ مَشياً في تَبَخْتُرِهِ أبْطا

مُطِلاً على الآفاقِ والبَدْرُ تاجُهُ،
وقد عَلَّقَ الجَوزاءَ من أُذنِهِ قُرطا

وحتى تصفَ ذئباً فتقول :

إذا اجتازَ عُلْوِيُّ الرِّياحِ بأفقِهِ،
أجَدَّ، لِعِرْفانِ الصَّبا، يتنفَّسُ[2]

---

١ الدرانك : الطنافس ، واحدها درنك بكسر فسكون فكسر ، والمراد الزهر الذي نبت عن المطر . الفيطان : جمع الغوط ، وهو المطمئن الواسع من الارض .

٢ اجد : اسرع .

تذكّرَ رَوضاً من شَوِيٍّ وباقِرٍ ،
تَولّتْه أحْراسٌ من الدُّعرِ تُحْرَسُ [1]

إذا انْثابَها مِنْ أذْؤُبِ القَفْرِ طارِقٌ
حَثِيثٌ ، إذا ما استَشْعَرَ اللحظَ يَهْمِسُ [2]

أزَلُّ كَسا جُثْمانَه مُتَسَتِّراً
طَيالِسَ سُوداً للدُّجى وهو أطْلَسُ [3]

فَدَلَّ عَلَيْهِ لحْظُ خِبٍّ مُخادِعٍ ،
تَرَى نارَهُ مِنْ ماءِ عَيْنَيْهِ تُقْبَسُ [4]

فصاح فِتيانُ الجِنِّ عندَ هذا البيتِ الأخير : زاهِ [5] ! وعلتْ أنفَ الناقةِ كآبَةٌ ، وظهرتْ عليه مَهابةٌ ، واختلط كلامُه ، وبدا منه ساعتئذٍ بَوادٍ في خطابه ، رَحِمهُ لها مَن حضَر ، وأشْفَق عليه من أجْلِها مَن نظر .

---

١ الشوي : الشاء . الباقر : اسم جمع للبقر .
٢ استشعر : خاف . يهمس : يسير بالليل .
٣ الازل : القليل اللحم ، والسريع . الاطلس : الذئب الامعط في لونه غبرة الى سواد .
٤ الخب : المخادع الخبيث الغاش .
٥ زاه : حكاية صوت المرتضي والمتعجب ، لم نجد لها ذكراً في كتب اللغة ، وانما ذكر زه زه : حكاية قول المرتضي ، وزي زي : حكاية صوت الجن

صاحب ابي اسحاق بن حمام

وشَمَّرَ لي فتىً ، كان الى جانبه ، عن ساعِدٍ ، وقال لي : وهل يضُرُّ قريحتَك ، أو يَنقُص مِن بَديهتِك لو تجافَيتَ لأنفِ النَّاقة ، وصَبرتَ له ؟ فإنه على عِلاَّتِه زِيرُ عِلم ، وزِنْبيلُ فَهْم ، وكَنَفُ رِواية . فقلتُ لزهير : مَنْ هذا ؟ فقال : هو أبو الآداب صاحب أبي إسحاق بن حُمامٍ جارِك . فقلتُ : يا أبا الآداب ، وزهرةَ رَيحانةِ الكُتَّاب ، رِفْقاً على أخيك بغَرْبِ لِسانِك[1] ، وهل كان يضُرُّ أنفَ النَّاقة ، أو ينقُص من علْمه ، أو يفُلُّ سَفْرةَ فهمه ، أن يصبِرَ لي على زَلَّةٍ تمُرُّ به في شِعْرٍ أو خُطبة ، فلا يهتِفُ بها بين تلاميذِه ، ويجعلُها طَرْمَذةً[2] من طرامِيذِه ؟ فقال : إنَّ الشُّيُوخَ قد تَهفو أحلامُهم في النَّدرة . فقلت : إنها المرَّةُ بعدَ المرَّة .

ثم قال لي الأستاذانِ عُتبةُ بن أرقم ، وأبو هُبَيرةَ صاحبُ عبدِ الحميد : إنَّا انخَبِطُ منك ببَيْداءِ حَيرة ، وتُفتَقُ أسماعُنا منك بعِبرة ، وما نَدري أنقولُ : شاعرٌ أمْ خطيب ؟

---

١ غرب اللسان : حدته .

٢ الطرمذة : الصلف والمفاخرة .

فقلتُ : الإنصافُ أولى ، والصَّدْعُ بالحقِّ أحجى ، ولا بُدَّ من قضاء . فقالا : اذهبْ فإنك شاعرٌ خطيب .

وانفَضَّ الجَمْعُ والأبصارُ إليَّ ناظِرة ، والأعناقُ نحوي مائلة .

obeikandl.com

الفصل الثالث

نقاد الجن

مجلس أدب

وحضرتُ أنا أيضاً وزهيرٌ مجلساً من مجالسِ الجنّ، فتذاكرْنا ما تعاورَتْه الشعراءُ من المعاني، ومَن زاد فأحسَن الأخْذَ، ومَنْ قصّر. فأنشدَ قولَ الأفوَهِ[1] بعضُ من حضَر:

وترى الطّيرَ على آثارِنا
رأيَ عينٍ، ثِقةً أن ستُمارْ[2]

وأنشدَ آخرُ قولَ النابغة:

إذا ما غزَوا بالجيشِ حلّقَ فوقهُمْ
عصائبُ طيرٍ تهتدي بعصائبِ

---

١ الافوه : اي الافوه الاودي ، شاعر جاهلي .
٢ ستمار : اي ستعطى ميرتها من جثث القتلى .

obeikandi.com

تراهُنَّ خلفَ القومِ خُزْراً عيونُها
جُلوسَ الشيوخِ في ثيابِ المرانِبِ[1]

جوانِحَ ، قد أيقَنَّ أنَّ قبيلَه،
إذا ما التقى الجَيشانِ ، أوَّلُ غالِبِ

وأنشدَ آخرُ قولَ أبي نُواس :

تتأيَّى الطُّيورُ غدوَتَه
ثِقَةً بالشِّبْعِ من جَزَرِه[2]

وأنشدَ آخرُ قولَ صريع الغَواني[3] :

قد عوَّدَ الطَّيرَ عاداتٍ وثِقْنَ بها ،
فهُنَّ يَتْبَعْنَهُ في كلِّ مُرتَحَلِ

وأنشدَ آخرُ قولَ أبي تَمَّام :

وقد ظلَّلَتْ عِقْبانُ أعلامِه ضُحًى
بِعِقْبانِ طَيرٍ في الدِّماءِ نواهِلِ[4]

---

١ الخزر : جمع الأخزر، وهو الذي ينظر بمؤخر عينه. المرانب : ثياب سود او اكسية من جلود الارانب . يشبه النسور وسواها من الجوارح، وما عليها من الريش ، بشيوخ عليهم الفراء .

٢ تتأبى : تقصد وتتعمد . غدوته : اي الى الحرب . من جزره : اي مما يترك من لحوم القتلى فريسة لها .

٣ صريع الغواني : مسلم بن الوليد ، الشاعر العباسي .

٤ العقبان الاولى : الرايات .

أقامَتْ معَ الرّاياتِ حتى كأنّها
من الجيشِ ، إلاّ أنّها لم تقاتِلِ

فقال شَمَرْدَلُ السّحابيّ : كُلُّهم قصّر عن النابغة ؛ لأنه زاد في المعنى ودلّ على أنّ الطيرَ إنما أكلتْ أعداءَ الممدوح ، وكلامُهم كلهم مشترَكٌ يحتَملُ أن يكونَ ضِدّ ما نَواهُ الشاعر ، وإن كان أبو تَمّامٍ قد زاد في المعنى . وإنّما المحسنُ المتَخلّصُ المتنبي حيثُ يقول :

لهُ عسْكَرَا خَيلٍ وطيرٍ إذا رمى
بها عَسْكَراً لم تَبْقَ إلاّ جَماجِمُهْ[1]

وكان بالحَضْرةِ فتىً حَسَنُ البِزّة ، فاحتدّ لقولِ شَمَرْدَل . فقال : الأمرُ على ما ذكرتَ يا شَمَردل ، ولكنْ ما تَسألُ الطيرُ إذا شبِعَتْ أيُّ القَبيلين الغالب ؟ وأمّا الطّيرُ الآخر فلا أدري لأيّ معنىً عافتِ الطيرُ الجماجمَ دونَ عِظامِ السُّوقِ والأذرُع والفَقاراتِ والعصاعِص ؟ ولكنّ الذي خلّص هذا المعنى كلّه ، وزاد فيه ، وأحسَنَ التركيب ، ودَلّ بلفظةٍ واحدةٍ على ما دلّ عليه شعرُ النابغةِ وبيتُ المتنبي ، مِن أن القَتلى التي أكلتْها الطيرُ أعداءُ الممدوح ، فاتِكُ بنُ الصَّقْعَبِ في قوله :

---

١ بها : الضمير عائد الى الخيل والطير لا الى عسكرا .

وتَدْري سِباعُ الطيرِ أنَّ كُماتَهُ،
إذا لَقِيَتْ صِيدَ الكُماةِ، سِباعُ[1]

لَهُنَّ لُعابٌ في الهَواءِ وهِزَّةٌ،
إذا جَدَّ بينَ الدَّارِعِينَ قِراعُ

تَطيرُ جِياعاً فوقَهُ وتَرُدُّها
ظُباهُ الى الأوكارِ وهْيَ شِباعُ

تَمَلَّكَ بالإحسانِ رِبْقَةَ رِقِّها،
فهُنَّ رقيقٌ يُشترى ويُباعُ

وألْحَمَ مِن أفراخِها فَهْيَ طَوعُهُ،
لدى كلِّ حربٍ، والمُلُوكُ تُطاعُ[2]

تُماصِعُ جَرحاها فيُجْهِزُ نَقْرُها
عليهِمْ، وللطَّيرِ العِتاقِ مِصاعُ[3]

فاهتزَّ المجلسُ لقوله، وعلِموا صِدقَه. فقلتُ لزهير: منْ فاتِكُ بنُ الصَّقْعب؟ قال: يعني نفسَه. قلت له: فهَلاَّ عرَّفْتني شأنَه منذ حين؟ إني لأرى نزَعاتٍ كريمة. وقمتُ

---

١ الصيد: جمع الأصيد وهو الرافع الرأس كبراً.
٢ ألحم: اطعم اللحم. من افراخها: لبان الجنس.
٣ تماصع: تقاتل.

فجلستُ إليه جِلسةَ المعظِّم له . فاستدارَ نحوي ، مكبِّراً لِمكاني ، فقلت : نُجد أرضَنا ، أعزَّكَ اللهُ ، بسَحابك ، وأمطِرْنا بعُيونِ آدابِك . قال : سَلْ عما شئت . قلتُ : أيُّ معنىً سبَقكَ الى الاحسان فيه غيرُك ، فوجدتَه حين رُمتَه صَعباً عليك إلاّ أنّك نفَذتَ فيه ؟ قال : معنى قولِ الكِنْديّ[1] :

سَمَوتُ إليها بَعدما نامَ أهْلُها ،
سُمُوَّ حَبابِ الماءِ حالاً على حالِ

قلتُ : أعزَّكَ الله ، هو من العُقْمِ . ألا ترى عُمرَ بنَ أبي ربيعةَ ، وهو من أطبَعِ الناسِ ، حين رامَ الدُّنُوَّ منه والإلمامَ به ، كيف افتضَح في قوله :

ونفَّضتُ عَني النَّومَ أقبلتُ مِشيَةَ الـ
ـحُبابِ ، ورُكْني خِيفَةَ القومِ أزوَرُ[2]

قال : صدقتَ ، إنّه أساءَ قِسْمةَ البيتِ ، وأراد أن يُلْطِفَ التوصُّل ، فجاء مُقبِلاً بركْنِ كرُكْنِه أزْور .

---

١ الكندي : اي امرؤ القيس .

٢ خيفة : في رواية : خشية . ورواية الديوان :

وخفض عني الصوت اقبلت خشية الـ ـحباب ، وشخصي خشية الحي أزور

فأعجبني ذلك منه[1] ، وما زلتُ مقدّماً لهذا المعنى رجلاً ، ومؤخّراً عنه أخرى ، حتى مررْتُ بشيخٍ يُعلّمُ بُنَيّاً له صناعةَ الشّعر وهو يقولُ له : إذا اعتمدتَ معنىً قد سبقَك إليه غيرُك فأحْسِنَ تركيبَه ، وأرِقّ حاشيَتَه فاضربْ عنه جُملة . وإن لم يكنْ بدٌّ ففي غير العَروض التي تقدّم إليها ذلكَ المُحْسِنُ ، لتَنشَطَ طبيعتُك ، وتَقْوى مُنّتُك[2] . فتذكرتُ قولَ الشاعر[3] وقد كنتُ أُنسيتُه :

لَمّا تسامى النّجْمُ في أُفقِه
ولاحت الجَوزاءُ والمِرزَمُ[4]

أقبلتُ والوَطءُ خفيفٌ كما
يَنسابُ من مَكمَنِه الأرقمُ[5]

فعلِمتُ أنه صدَق ؛ وابن أبي ربيعة لو ركِب غيرَ عَروضِه لَخَلَص . فقلتُ أنا في ذلك :

---

١ منه : اي من الكندي .

٢ المنة بالضم : الضعف ، والقوة ، من الاضداد .

٣ الشاعر : هو اسماعيل بن يسار النسائي شاعر اموي من موالي بني تيم بن مرة ، تيم قريش ، وكان منقطعاً الى آل الزبير ، ثم وفد على عبد الملك بن مروان ومدحه . وعاش عمراً طويلاً الى ان ادرك آخر سلطان بني امية .

٤ المرزم : نجم ، وهما مرزمان مع الشعريين . رواية الاغاني :

حتى اذا الصبح بدا ضوءه وغارت الجوزاء والمرزم

٥ اقبلت : رواية الاغاني : خرجت . خفيف : رواية الاغاني : خفي .

ولَمَّا تَمَثَّلأ مِنْ سُكْرِهِ
فَنامَ ، ونامت عُيونُ العَسَسْ[1]

دَنَوتُ إليه ، على بُعْدِهِ ،
دُنُوَّ رفيقٍ درى ما النَّفَسْ

أَدِبُّ إليه دَبيبَ الكَرى ،
وأَسْمُو إليه سُمُوَّ النَّفَسْ

وبِتُّ به ليلَتي ناعِماً ،
الى أن تَبَسَّمَ ثَغْرُ الغَلَسْ

أُقَبِّلُ منه بَياضَ الطُّلا ،
وأرشُفُ منه سَوادَ اللَّعَسْ[2]

فقمتُ وقبَّلتُ على رأسِه ، وقلتُ : للهِ دَرُّ أبيك !
فقال لي فاتِكُ بنُ الصَّقْعَب : فهل جاذبتَ أنتَ أحداً من الفُحول ؟ قلتُ : نعم ، قولَ أبي الطَّيِّب :

---

١ تملأ : امتلأ .
٢ الطلا : الاعناق ، او اصولها ، واحدتها طلية او طلاة . اللعس : سواد مستحسن في الشفة .

أأخلعُ المجدَ عن كتفي وأطلبُه ،
وأتركُ الغيثَ في غِمْدي وأنتجِعُ ؟[1]

قال لي : بماذا ؟ قلتُ : بقولي :

ومن قُبَّةٍ لا يُدرِكُ الطَّرْفُ رأسَها ،
تَزِلُّ بها رِيحُ الصَّبا فتَحَدَّرُ

اذا زاحمَتْ منها المخارِمَ صوَّبَتْ
هُوِيّاً ، على بُعْدِ المدى ، وهيَ تَجأرُ[2]

تَكَلَّفْتُها ، والليلُ قد جاشَ بحرُهُ ،
وقدْ جعلَتْ أمْواجُهُ تتكسَّرُ ،

ومِنْ تحتِ حِضْنِي أبيَضٌ ذو سَفاسِقٍ ،
وفي الكفِّ من عسَّالة الخطِّ أسمَرُ[3]

هُما صاحِبايَ مِن لَدُنْ كُنتُ يافِعاً ،
مُقيلانِ مِن جَدِّ الفتى حِين يَعثُرُ[4]

---

١ أأخلع : رواية الديوان : أأطرح . كنى بالمجد والغيث عن السيف لانهما يدركان به ، والمراد بالغيث الخصب وسعة العيش .
٢ المخارم : انوف الجبال ، والمراد هنا اعالي الخيمة . صوبت : ضد صعدت . تجأر : تصوت .
٣ السفاسق : طرائق السيف وشطبه .
٤ الجد : الحظ .

فذا جدولٌ في الفيدِ تُسقى به المُنى ،
وذا غُصنٌ في الكفِّ يُجنى فيُثمِرُ

فقال : واللهِ لئن كان الغيثُ أبلغ ، فلقد زدتَ زيادة مليحة طريفة ، واخترعتَ معانيَ لطيفة . هل غيرُ هذا ؟ فقلتُ : وقوله أيضاً :

وأظمأ فلا أبدي الى الماءِ حاجةً
وللشمسِ فوقَ اليعملاتِ لُعابُ[1]

قال : بماذا ؟ قلتُ : بقولي :

ولم أنسَ بالنّاووسِ أيّامَنا الأُلى
بها أينُنا محبوبُها وحبابُها[2]

وفتيةَ ضربٍ من زناتةَ ، مُمطرٍ
بوبلِ المنايا طعنُها وضرابُها

وقفنا على جمرٍ منَ الموتِ وقفةً ،
صليٌّ لظاهُ دابُ قومي ودابُها

---

١ وأظمأ : رواية الديوان : وأصدى ، وهي اجود . اليعملات : النياق النجيبة . لعاب الشمس : ما يراه المسافر من أشعة الظهيرة كأنه خيوط تتدلى فوق رأسه ، ويكون ذلك وقت اشتداد الحر .

٢ الناووس : القبر ، وهنا موضع بعينه . الاين : الاعياء . ولعلها آينا جمع آية ليستقيم وجه الكلام . حبابها : مبلغ جهدها ، وبكسر الحاء : الوداد .

إذا الشمسُ رامتْ فيه أكلَ لُحومِنا،
جرى جَشَعاً فوقَ الجيادِ لُعابُها

فصاحَ صيحةً مُنكَرةً من صِياحِ الجنِّ كاد يُنخَبُ[1] لها فؤادي فَزَعاً ، والله ، منه !

وكان بِنَجوةٍ منّا جِنِّيٌّ كأنّه هضْبة لركانتِه وتقبُّضِه، يحدّق فيَّ دونَهم، يَرميني بسهمَين نافِذَين، وأنا ألُوذُ بطَرفي عنه ، وأستعيذُ بالله منه ، لأنه مَلأ عيني ونفسي. فقال لي لَمّا انتهَيتُ ، وقد استخفّهُ الحسَد : على مَن أخذتَ الزّمير[2] ؟ قلتُ : وإنما أنا نَفّاخٌ عندك منذُ اليوم ؟ قال : أجل ! أعطِنا كلاماً يَرعى تِلاعَ الفصاحَة ، ويستحِمُّ بماء العُذوبةِ والبَراعة ، شديدَ الأسْر جيّدَ النّظام ، وضَعْه على أيِّ معنىً شئتَ . قلت : كأيِّ كلام ؟ قال : ككلام أبي الطيِّب :

نزَلْنا على الأكوارِ تَمْشي كرامةً
لِمَنْ بان عنه ، أنْ نُلِمَّ به رَكْبا[3]

---

١ ينخب : ينزع .
٢ الزمير : النفخ في القصب .
٣ الاكوار : رحال الابل . عنه : اي عن الربع . والمراد : نمشي الى الربع على الاقدام ، لا راكبين ، اكراماً للحبيب الغائب عنه .

نَذُمُّ السَّحابَ الغُرَّ في فِعْلِها بِه ،
ونُعْرِض عنها ، كلَّما طلَعَتْ ، عَتْبا[1]

وكقوله :

أرأيْتَ أكبَرَ هِمَّةً من ناقَتي ،
حَمَلَتْ يداً سُرُحاً وخُفّاً مُجْمَرا[2]

تَرَكَتْ دُخانَ الرَّمْثِ في أوطانِها ،
طَلَباً لقومٍ يُوقِدُونَ العَنْبَرا[3]

وتَكرَّمَتْ رُكَباتُها عن مَبرَكٍ
تقعانِ فيه ، وليسَ مِسْكاً أذفَرا[4]

فأتَتْكَ دامِيَةَ الأظَلِّ كأنَّما
حُذِيَتْ قوائِمُها العَقِيقَ الأحْمَرا[5]

---

١ في فعلها به : اي انها عفت اثاره .
٢ اكبر همة : رواية الديوان : ارأيت همة ناقتي في ناقة . السرح : السهلة السير المجمر : الصلب ، وبكسر الميم : الخفيف السريع .
٣ الرمث : شجر من الغضى .
٤ الاذفر : الذكي الرائحة .
٥ الأظل : باطن الخف الذي يلي الارض . حذيت : ألبست حذاء .

وكقوله :

على كلّ طاوٍ تحتَ طاوٍ كأنّما
منَ الدّمِ يُسقى أو منَ اللّحمِ يُطعَمُ[1]

لها تحتهمْ زيُّ الفوارسِ فوقَها،
فكلُّ حِصانٍ دارعٌ مُتلثّمُ[2]

وما ذاكَ بُخلًا بالنفوسِ على القَنا،
ولكنّ صَدْمَ الشّرِّ بالشّرِّ أحزَمُ

فأدّني[3] واللهِ بما قَرَع به سمعي ، وقلتُ له : أيُّ ماءٍ لو كان من جِمامِكَ[4] ، واستهلّت به عيونُ غَمامِكَ ! ثم استقدَمتُ فأنشدته :

ولربَّ ليلٍ للهمُومِ تهدّلتْ،
أستارُه فمَحا الصّوى بسُتُورِهِ[5]

---

١ الطاوي : الضامر البطن من الجوع ، ويراد بالاول الفرس ، وبالثاني راكبه .
٢ لها تحتهم : في الديوان : لها في الوغى . زي الفوارس فوقها : اي على هذه الخيول التجافيف ، بمنزلة الدروع على فرسانها الذين فوقها .
٣ ادني : دهاني بالامر الفظيع .
٤ الجمام : جمع الجم ، وهو الماء او معظمه . والمراد : لو كان هذا الشعر من نظمك .
٥ الصوى : جمع الصوة ، وهي حجارة تكون علامة في الطريق يهتدى بها .

كالبحرِ يَضْرِبُ وجْهَهُ في وجْهِهِ،
صَعْبٌ على العُبَّارِ وجهُ عُبورِهِ

طاوَلْتُـه مِنْ عَزمَتي بمُضَبَّرٍ،
أثبَتُّ هَمِّي في قَرارةِ كُورِهِ[1]

وعليَّ للصَّبرِ الجميلِ مُفاضَةٌ،
تَلقى الرَّدى، فتَكِلُّ دون صَبُورِهِ[2]

وبِراحَتي من فِكرتي ذو ذُكرةٍ،
عُهِدَتْ تُذاكِرُني بطَبعٍ ذَكِيرِهِ[3]

فَرْداً، إذا بعَثَتْ دياجِي جِنْحِهِ
هَولاً عليَّ، خَبَطْتُ في دَيجُورِهِ[4]

حتى بدا عبدُ العزيزِ لِناظِرَيْ
أمَلي، فمزَّقْتُ الدُّجَى عن نُورِهِ[5]

---

١ المضبر : البعير المكتنز اللحم المجتمع العظام .
٢ المفاضة : الدرع الواسعة .
٣ الذكرة : حدة السيف . الذكير : أيبس الحديد واجوده .
٤ فرداً : حال من التاء بـ « طاولته » ، وتروى بالضم، خبر لمبتدأ محذوف
٥ عبد العزيز : هو المؤتمن بن عبد الرحمن بن عامر .

وأنشدته :

اللهَ في أرضٍ غُذِيتَ هواءَها ،
وعِصابةٍ لم تَتَّهِمْ إشفاقَها[1]

نَكَزَتْهُمُ أفعى الخُطُوبِ ، وعُوجِلُوا
بمُثَمَّلٍ منها ، فكُنْ دِرْياقَها[2]

وافتَحْ مَغالِقَها بعَزمةِ فيصَلٍ ،
لو حاوَلَتْ سَوقَ الثُّرَيَّا ساقَها[3]

ولوَ انَّها منه ، إذا ما استَلَّها ،
تتَعَرَّضُ الجَوزاءُ ، حَلَّ نِطاقَها[4]

وأنشدتُه :

لا تَبْكِيَنَّ مِنَ اللَّيالي أنَّها
حَرَمَتْكَ نَغْبَةَ شارِبٍ مِن مَشرَبِ[5]

---

١ الله : اي راقب الله .
٢ نكزته الافعى : لسعته . المثمل : السم المنقع .
٣ ساقها : ضمير الرفع يعود الى فيصل .
٤ نطاق الجوزاء : ثلاثة كواكب مستعرضة في وسط الجوزاء ، تسميها العرب النظم ، وهي مثل في الانتظام والالتئام .
٥ النغبة : الجرعة .

فأقلُّ ما لكَ عندَها سيفُ الرَّدى ،
يُستَلُّ مِن شَعَرِ القَذالِ الأشيبِ

ورَحيلُ عَيشكَ كلَّ رِحلةِ ساعةٍ ،
وفَناءُ طِيبِكَ في الزَّمانِ الأطيَبِ

فإذا بَكَيتَ فبَاكِ عُمرَكَ ، إنَّهُ
زَجِلُ الجَناحِ يَمُرُّ مَرَّ الكوكَبِ [1]

وأنشدتُه :

ولم أرَ مِثلي ما لهُ مِن مُعاصِرٍ ،
ولا كمَضائي ما لهُ مِن مُضافِرِ

ولو كانَ لي في الجوِّ كِسرٌ أؤمُّه ،
رَكِبتُ إليه ظَهرَ فَتخاءَ كاسِرِ [2]

وهَمَّتْ بإجهاشٍ عليَّ ، وقد رأتْ
مُصابيَ في آثارِ إحدى الكَبائِرِ

فقُلتُ لها : إن تَجزَعي مِن مُخاطِرٍ ،
فإنَّكِ لن تَحظَيْ بغيرِ المَخاطِرِ

---

١ زجل الجناح : اي سريعه وله صوت وجلبة .
٢ الكسر : جانب البيت ، والشقة السفلى من الخباء . الفتخاء : العقاب اللينة الجناح

تشبّثتْ بِمِدارَ الوَفْرِ مني ، وإنّها
لدى كلّ مُبْيَضّ العَنانيزِ وافِرُ[1]

له في بَياضِ اليومِ يقظةُ فاجِرٍ ،
وتحتَ سَوادِ الليلِ هَجْعَةُ كافِرِ

رُوَيْدَكِ ، حتى تنظُري عَمّ تَنجلي
غَيابةُ هذا العارِضِ المُتناثِرِ

ودونَ اعتزامي هَضْبَةٌ كِسْرَوِيّةٌ ،
من الحزمِ ، سَلمانِيّةٌ في المَكاسِرِ[2]

إذا نَحْنُ أَسْنَدنا إليها ، تبَلّجَتْ
مواردُنا عن نَيِّراتِ المَصادِرِ

وأنتَ ، ابنَ حَزمٍ ، مُنْعِشٌ من عِثارِها
إذا ما شَرِقْنا بالجُدُودِ العَواثِرِ[3]

---

١ العنانيز : كذا في الاصل ، ولا معنى له ، ويصح ان يكون العثانين ، كما رأى مصححو الذخيرة .

٢ هضبة كسروية : يريد بها صديقه الفقيه ابا محمد بن حزم . سلمانية : نسبة الى سلمان الفارسي الصحابي . المكاسر : جمع المكسر ، وهو المخبر والاصل .

٣ الجدود : الحظوظ .

وما جرّ أذيالَ الغِنى نحوَ بيتِه
كأروعَ معرورٍ ظهورَ الجرائرِ[1]

إذا ما تبغّى نضرةَ العيش كرها،
لدى مَشرَعٍ للموتِ، لمحةَ ناظرِ[2]

فسَلّ من التأويلِ فيها مُهنّداً
أخُو شافعيّاتٍ كريمُ العناصرِ[3]

لِمُعتزليّ الرأيِ، ناءٍ عن الهُدى،
بعيدِ المرامي، مُستميتِ البصائرِ[4]

يُطالبُ بالهِندِيّ في كلّ فتكةٍ
ظهورَ المذاكي عن ظهورِ المنابرِ[5]

---

١ معرور : راكب . يقال اعرورى فرسه : ركبه عرياناً . الجرائر : الجنايات .
٢ كرها : الضمير يعود الى الجرائر ، على تشبيهها بالخيل . المشرع : المنهل .
٣ شافعيات : كان ابن حزم في اول امره يميل به النظر في الفقه الى رأي ابي عبد الله بن ادريس الشافعي ، فناضل عن مذهبه وتعصب له ، حتى وسم به ونسب اليه ، ثم عدل عنه الى رأي الظاهرية ، مذهب داود بن علي واتباعه، فنقحه وجادل عنه ، وانحرف عن غيره من المذاهب ، وكان في جداله قاسياً حديد اللسان حتى استهدف الى فقهاء وقته فتألّبوا على بغضه ، وشنعوا عليه ، فلفظة الجرائر تنطبق على مجادلاته وتأويلاته الاليمة .
٤ كان لابن حزم ردود عنيفة على المعتزلة في كتابه الفصل في الملل والاهواء والنحل.
٥ المذاكي : الخيول التي اتى عليها بعد قروحها سنة او سنتان .

وأنشدته :

وقالت النفسُ لمّا أنْ خلَوتُ بها ،
أشكو إليها الهوى خِلْواً منَ التهَمِ :

حتّامَ أنتَ على الضّرّاءِ مُضْطجِعٌ ،
مُعَرِّسٌ في ديارِ الظّلْمِ والظُّلَمِ ؟ [1]

وفي الثّرى لكَ ، لو أزمعْتَ مُرتحَلاً ،
بُرْءٌ منَ الشوق ، أو بُرْءٌ منَ العدَمِ [2]

ثم استمرّتْ بفضْلِ القولِ تُنهِضُني ،
فقُلتُ : إني لأستحْيي بني الحكَمِ [3]

المُلحِفينَ رداءَ الشّمسِ مَجدَهُمُ ،
والمُنْعِلينَ الثُّرَيّا أخْمَصَ القدَمِ

ألِمتُ بالحُبِّ ، حتى لو دَنا أجَلي ،
لَما وَجَدْتُ لطعْمِ الموتِ من ألَمِ [4]

---

١ المعرس : الذي ينزل في مكان آخر الليل للاستراحة .
٢ العدم : الفقر .
٣ بني الحكم : اي امراء بني امية .
٤ ألمت : في الاصل المت ، ونبه على ذلك مصححو الذخيرة .

وذادني كرمي عمّن ولهتُ به ،
ويلي من الحبّ ، أو ويلي من الكرم[1]

تخوّنتني رجالٌ طالما شكرتْ
عهدي ، وأثنتْ بما راعيتُ من ذمم

لئن وردتُ سهيلاً غبّ ثالثة ،
لتقرعنّ عليّ السنّ من ندم[2]

هناك لا تبتغي غيرَ السناء يدي ،
ولا تخفُّ الى غير العلى قدمي

حتى تراني في أدنى مواكبهم ،
على النعامة شلالاً من النعم[3]

ريّانَ من زفرات الخيل أوردُها
أمواهَ نيطة تهوي فيه باللجُم[4]

---

١ ذادني : دفعني وردني .

٢ سهيل : نجم يماني ، والثريا من النجوم الشآمية ، فهما لا يلتقيان . وخطابه للامير الاموي الذي قال عنه انه انعل الثريا اخمص قدمه . ولعله اراد بسهيل احد امراء بني حمود الذين كانوا ، في ذاك العهد، ينازعون الامويين الخلافة. ثالثة : اي ليلة ثالثة .

٣ النعامة : اسم فرس . شلال : يقال : فلان شلال النعم ، اي يطردها ويسوقها امامه ، وتكون من غنائمه في الغزو . النعم : الابل .

٤ نيطة : كذا في الاصل، وهو كما يظهر اسم موضع ، او نهر، لم نتمكن من اثباته ، واليه ارجع ضمير المذكر في قوله تهوي فيه .

فُدَّامَ أروَعَ من قومٍ وَجَدْتُهُمُ
أرعى لِحَقِّ العُلى من سالفِ الأمَمِ

ففتَحَ عليَّ عينَينِ كالماوِيَّتَينِ[1] ثم قال لي : من القائل ؟

طلَعَ البَدْرُ علينا ،
وحسِبْناهُ لَبيبا

والتَقَيْنا ، فرأَيْنا
هُ بَعيداً وقريبا

قلتُ : أبي . قال : فمن القائل ؟

فيا مَن إذا رامَ مَعنى كلامي ،
رأى نَفْسَهُ نُصْبَ تلكَ المعاني

شكَوتُ إليكَ صُروفَ الزّمانِ ،
فلمْ تَعْدُ أنْ كنتَ عونَ الزمانِ

وتَقْصُرُ عن هِمَّتي قُدرتي ،
فيا لَيْتَني لِسِوى مَنْ نَماني

ولا غَروَ للحُرِّ ، عندَ المَضيـ
ـقِ ، أنْ يتَمَنّى وَضِيعَ الأماني

---

١ الماوية : المرآة .

obeikandl.com

قلت : أخي . قال : فمن القائل ؟

صُدُودٌ ، وإنْ كان الحبيبُ مُساعِفاً ،
وبُعْدٌ ، وإن كان المَزارُ قريبا

وما فتِئَتْ تلك الدِّيارُ حَبائباً
لنا ، قبلَ أنْ نَلقى بهِنَّ حَبيبا

ولو أسْعَفَتْنا بالمودَّةِ في الهَوى ،
لأدنَينَ إلفاً ، أو شَغَلْنَ رقيبا

وما كان يَجفُو مُمْرِضي ، غيرَ أنَّهُ
عَدَتْه العَوادي أنْ يكونَ طَبيبا[1]

قلت : عمِّي . قال : فمن القائل ؟

أتَيْناكَ ، لا عن حاجةٍ عرَضَتْ لنا
إليكَ ، ولا قلبٍ إليكَ مَشُوقِ

ولكِنَّنا زُرْنا بفَضْلِ حُلُومِنا
حِماراً ، تَلَقَّى بِرَّنا بعُقُوقِ

قلت : جَدِّي . قال : فمن القائل ؟

وَيلِي على أحْوَرَ تَيَّاهِ ،
أحْسَنَ ما يَلْهُو به اللاهِي

---

١ عدته : صرفته . العوادي : الشواغل .

أقبلَ في غيدٍ حكَينَ الظِّبا،
بيضِ تَراقٍ، حُمْرِ أفواهِ[1]

يأمُرُ فيهنَّ وينْهى ، ولا
يَعْصِينَهُ من آمرٍ ناهي

حتى إذا أمْكَنَني أمْرُهُ،
تَرَكْتُهُ مِنْ خِيفةِ اللهِ

قلت : جَدُّ أبي . قال : فمن القائل ؟

وَيْحَ الكِتابةِ مِن شَيخٍ هَبَنَّقَةٍ،
يَلقى العُيونَ برأسٍ مُخُّهُ رارُ[2]

ومُنْتِنِ الرِّيحِ إنْ ناجَيْتَهُ أبداً،
كأنَّما ماتَ في خَيْشُومِهِ فارُ

قلتُ : أنا . قال : والذي نفسُ فِرعونَ بيدِه ، لا عَرَضْتُ لك أبداً ، إني أراك عَريقاً في الكلام . ثم قلَّ واضمحلَّ ، حتى إنَّ الخُنفَساء لَتَدوسُه ، فلا يشغَل رِجْليها .

---

١ التراقي : جمع الترقوة وهي مقدم الحلق في اعلى الصدر حيثما يترقى فيه النفس .
٢ هبنقة : رجل يضرب به المثل في الحمق، اجراه مجرى الصفة . الرار : الذائب من المخ .

فعجبتُ منه ، وقلت لزهير : مَن هذا الجِنّيّ ؟ فقال لي : استَعِذْ باللهِ منه ، إنه ضرَط في عَين رجُلٍ فبَدَرَتْ من قَفاه ، هذا فِرعونُ بنُ الجَون . فقلتُ : أعوذُ باللهِ العظيم ، مِنَ النارِ ومن الشيطان الرَّجيم ! فتبسَّم زُهَيرٌ وقال لي : هو تابعةُ رجُل كبير منكم ، ففهمتها عنه .

obeikandl.com

الفصل الرابع

حيوان الجن

لغة الحمير

ومشَيْتُ يوماً أنا وزُهير بأرض الجنّ أيضاً نتقرّى الفوائد ونعتمِدُ أندِيَةَ أهلِ الآدابِ منهم ، إذ أشرَفنا على قَرارةٍ غَنّاء[1] ، تفتَرُّ عن بركةِ ماء ، وفيها عانةٌ[2] من حُمُر الجِنّ وبغالِهم، قد أصابَها أولَق[3] فهِيَ تَصْطَكُّ بالحوافرِ ، وتنفُخ

---

١ القرارة : المطمئن من الارض ، والقاع المستدير . غناء : كثيرة العشب ، او تمر فيها الريح غير صافية الصوت لكثافة عشبها .

٢ العانة : القطيع من حمر الوحش .

٣ الاولق : الجنون او شبهه .

obeikandl.com

من المناخِر ، وقد اشتدَّ ضراطُها ، وعلا شَحيجُها[1] ونُهافُها . فلما بصُرَت بنا أجْفلتْ إلينا وهي تقول : جاءكم على رجليه !

فارتَعتُ لذلك ، فتبسَّم زُهيرٌ وقد عرَف القَصْد ، وقال لي : تَهيَّأ للحُكْم . فلمَّا لحقتْ بنا بدَأتْني بالتفدية ، وحيَّتني بالتكنية . فقلت : ما الخَطبُ ، حُميَ حِماكِ أيَّتُها العانة ، وأخصَبَ مَرْعاك ؟ قالتْ : شِعْرانِ لحِمارٍ وبَغْلٍ من عُشَّاقنا اختلَفْنا فيهما ، وقد رضِيناكَ حَكَماً . قلتُ : حتى أسمَع . فتقدَّمتْ إليَّ بغْلةٌ شَهْباء ، عليها جُلُّها وبُرقُعها ، لم تدخُل فيما دخَلتْ فيه العانةُ من سوءِ العَجَلةِ وسُخْفِ الحركة ، فقالت : أحَدُ الشعرينِ لبغْلٍ من بغالِنا وهُو :

على كلِّ حَبٍّ مِن هَواهُ دَليلُ :
سَقامٌ على حَرِّ الجَوى ، ونُحُولُ

وما زالَ هذا الحُبُّ داءً مُبَرِّحاً ،
إذا ما اعْترى بَغْلاً فليسَ يَزُولُ

بنَفْسي التي أمَّا مَلاحِظُ طَرْفِها
فسِحْرٌ ، وأمَّا خَدُّها فأسِيلُ

---

١ الشحيج : صوت البغل .

تَمِيمٌ بما حَمَّلْتُ من ثِقْلِ حُبِّها،
وإني لَبَغْلٌ للثِّقالِ حَمُولُ

وما نِلتُ منها نائِلًا غيرَ أنَّني
إذا هيَ بالتْ بُلْتُ حيثُ تَبُولُ

والشعر الآخرُ لِدُكَينٍ الحِمار :

دُهِيتُ بهذا الحُبِّ منذُ هَويتُ،
وراثَتْ إِراداتي فلستُ أَرِيثُ[1]

كَلِفْتُ بإلْفِي مُنذُ عشرينَ حِجَّةً،
يَجُولُ هواها في الحَشا ويَعِيثُ

وما لِيَ مِنْ بَرْحِ الصَّبابةِ مَخْلَصٌ،
ولا لِيَ مِنْ فَيضِ السِّقامِ مُغِيثُ

وغَيَّر منها قلبَها لي نَمِيمَةٌ،
نَماها أَحَمُّ الخُصْيَتَينِ خَبِيثُ[2]

وما نِلتُ منها نائِلًا، غيرَ أَنَّني
إذا هي راثَتْ رُثتُ حيثُ تَروثُ[3]

---

١ راثت : ابطأت .
٢ نماها : اي نسبها اليه . الاحم : الاسود .
٣ راثت : احدثت .

فضحِكَ زُهيرٌ ، وتماسَكْتُ ، وقلتُ للمنشِدة : ما هَويتُ ؟ قالتْ : هو هَويتُ ، بلغةِ الحِمير . فقلت : والله ، إن للرَّوثِ رائحةً كريهةً ، وقد كان أنفُ الناقةِ[1] أجدرَ أن يحكُمَ في الشِّعر ! فقالت : فهمتُ عنك . وأشارتْ الى العانة أنَّ ذَكَيناً مغلوب ؛ ثم انصرَفت[2] قانعة راضية .

وقالت لي البَغْلة : أما تعرِفني أبا عامر ؟ قلتُ : لو كانت ثَمَّ علامة ! فأماطتْ لِثامَها ، فإذا هي بغلةُ أبي عيسى ، والخالُ على خدِّها ، فتَباكَيْنا طويلاً ، وأخذنا في ذِكْرِ أيامنا ، فقالت : ما أبقتِ الأيامُ منك ؟ قلت : ما ترَينَ . قالت : شَبَّ عمرٌو عن الطَّوق[3] ! فما فعل الأحبّةُ بعدي ، أهم على العهد ؟ قلتُ : شَبَّ الغِلمان ، وشاخ الفِتْيان ، وتنكَّرتِ الخُلاَّن ؛ ومِن إخوانكِ من بَلَغَ الإمارة ، وانتهى الى الوزارة . فتنفَّستِ الصُّعَداء ، وقالت : سقاهم اللهُ سَبَلَ العهد[4] ، وإن حالوا عن العَهْد ، ونسُوا أيّامَ الوُدّ . بحرمةِ الأدَب ، إلاَّ ما أقرأتَهم مني السلام ؛ قلت : كما تأمُرينَ وأكثر .

---

١ انف الناقة : الجني الذي مر ذكره .

٢ انصرفت : الضمير يعود الى العانة .

٣ شب عمرو عن الطوق : مثل يضرب لمن يلبس شيئاً دون قدره وعمره ، او لمن كبر عن شيء كان يتزيا به .

٤ السبل : المطر . العهد : اول مطر الوسمي ، ومطر بعد مطر يدرك آخره بلل اوله .

الاوزة الادبية

وكانت في البركة بقربنا إوَزَّةٌ بيضاء سَهلاء ، في مثل جُثمانِ النَّعامة ، كأنما ذُرَّ عليها الكافُور ، أو لبِستْ غِلالةً من دِمَقْسِ الحرير ، لم أرَ أخَفَّ من رأسها حرَكة ، ولا أحسَنَ للماءِ في ظَهْرِها صَبّاً ، تَثْني سالفتَها[1] ، وتكسِرُ حَدَقتَها ، وتُلولِبُ قَمَحْدُوَتَها[2] ، فترى الحُسْنَ مستعاراً منها ، والشَّكلَ مأخوذاً عنها ، فصاحتْ بالبَغلة : لقد حكمتُم بالهوى ، ورضيتُم من حاكِمكم بغيرِ الرِّضا .

فقلتُ لزهير : ما شأنُها ؟ قال : هي تابعةُ شيخٍ من مَشْيَختِكم ، تُسمَّى العاقلة ، وتُكنى أُمَّ خَفيف ، وهي ذات حظٍّ من الأدب ، فاستعِدَّ لها . فقلتُ : أينُها الإوَزَّةُ الجميلة ، العريضةُ الطَّويلة ، أيَحْسُنُ بجمالِ حَدَقَتيْكِ ، واعتِدالِ مَنْكِبَيكِ ، واستقامةِ جَناحَيْكِ ، وطولِ جِيدِكِ ، وصِغَرِ رأسِكِ ، مقابلةُ الضَّيفِ بمثل هذا الكلام ، وتَلَقِّي الطارىء الغريبِ بشبهِ هذا المقال ؟ وأنا الذي هِمْتُ بالإوَزِّ

---

١ السالفة : ناحية مقدم العنق من لدن معلق القرط الى الترقوة .

٢ القمحدوة : مؤخر القذال ، والهنة الناشزة فوق القفا ، واعلى القذال خلف الاذنين .

صبابةً ، واحتملتُ في الكلَفِ بها عنّ كلّ مقالة ؛ وأنا الذي استرجعتُها الى الوطنِ المألوف ، وحبّبتُها الى كلّ غِطْريف[1] ، فاتّخذتْها السادةُ بأرضِنا واستهلكَ عليها الظُّرفاءُ منّا ، ورُضِيَتْ بدلاً من العَصافيرِ ، ومُتكلّماتِ الزرازيرِ ، ونُسِيَتْ لذّةُ الحَمام ، ونِقارُ الدُّيُوك ، ونِطاحُ الكِباش .

فدخلَها العُجْبُ من كلامي ، ثم ترفّعتْ وقد اعترتْها خِفّةٌ شديدةٌ في مائِها ، فمرّةً سابحة ، ومرةً طائرة ، تنغمسُ هنا وتخرُج هناك ، قد تقبّب جناحاها ، وانتصبتْ ذُناباها ، وهي تُطرّب تطريبَ السُّرور ؛ وهذا الفعل معروفٌ من الإوَزّ عند الفرح والمرح . ثم سكنتْ وأقامتْ عُنُقَها ، وعرّضتْ صدرَها ، وعملتْ بمِجْدافَيْها[2] ، واستقبلتنا جائيةً كصَدرِ المركَب ، فقالت : أيُّها الغارُّ المغرور ، كيف تحكُم في الفروعِ وأنت لا تُحْكِمُ الأصول ؟ ما الذي تُحْسِن ؟ قلتُ : ارتجالَ شِعر ، واقتضابَ خُطبة ، على حُكْمِ المقْتَرَح والنُّصْبة[3] . قالت : ليسَ عن هذا أسألُك . قلت : ولا بغيرِ هذا أُجاوبُك . قالت : حُكم الجوابِ أن يقعَ على

---

١ الغطريف : السيد الشريف .

٢ المجداف : الجناح ، ومنه مجداف السفينة .

٣ النصبة : السارية المنصوبة علامةً للطريق ، والمراد هنا ما يشار به من رأي لا يعدل عنه ، يقال : نصبت له رأياً .

أصل السؤال ، وأنا إنما أردتُ بذلك إحسانَ النَّحوِ والغريبِ اللذَين هما أصلُ الكلام ، ومادَّةُ البيان . قلت : لا جوابَ عندي غيرَ ما سمعت . قالت : أُقسِم أنَّ هذا منك غيرُ داخلٍ في باب الجَدَل . قلت : وبالجدَلِ تطالُبِينَنا وقد عقَدنا سَلْمه ، وكُفِينا حَرْبَه ، وإنَّ ما رَمَيتُكِ به منه لأنفَذُ سِهامِه ، وأحَدُّ حِرابه ، وهو من تعاليم الله ، عزَّ وجلَّ ، عندنا في الجَدَل في مُحكَم تنزيله . قالت : أُقسم أنَّ الله ما علَّمك الجدَل في كتابه . قلت : محمول عنك[1] أمٌّ خفيف ، لا يَلزَمُ الإوَزَّ حِفظُ أدبِ القرآن ، قال الله ، عزَّ وجلَّ ، في مُحكَم كتابه حاكياً عن نبيِّه إبراهيمَ ، عليه السلام : « ربيَ الذي يُحْيي ويُمِيتُ ، قال : أنا أُحْيي وأُمِيت . » فكان لهذا الكلام من الكافر جواب ، وعلى وجوبه مقال ؛ ولكنَّ النبي ، صلى الله عليه وسلم ، لمَّا لاحتْ له الواضحةُ القاطعةُ ، رماهُ بها ، وأضرب عن الكلام الأول ، قال : « فإنَّ اللهَ يَأتي بالشمسِ من المَشرِقِ ، فأتِ بها من المغربِ ؛ فبُهِتَ الذي كَفَر . » وأنا لا أحسِنُ غيرَ ارتجالِ شعر ، واقتضابِ خُطبة ، على حُكم المُقترَح والنُّصبة .

فاهتزَّت من جانبيها ، وحال الماءُ[2] من عينَيها ، وهمَّتْ

---

١ محمول عنك : من حمل عنه : أي حلم .

٢ حال الماء : اي سقط .

بالطيران . ثم اعتراها ما يعتري الإوَزّ من الألفة وحسن الرّجعة ، فقدّمتْ عُنُقَها ورأسَها إلينا تمشي نحوَنا رويداً ، وتنطِق نطقاً مُتدارَكاً خفيّاً ، وهو فعلُ الإوزّ إذا أنستْ واستراضتْ وتذلّلت ؛ على أني أُحبُّ الإوزّ وأستظرِفُ حركاتِها وما يعْرِضُ من سخافاتِها .

ثم تكلّمتُ بها مُبَسْبِساً[1] ، ولها مؤنِساً ، حتى خالطتْنا وقد عَقَدْنا سَلْمها وكُفِينا حربَها ، فقلت : يا أُمّ خَفيف ، بالذي جعلَ غِذاءكِ ماء ، وحَشى رأسَكِ هواء ، ألا أيُّما أفضل : الأدبُ أم العقل ؟ قالت : بل العقل . قلتُ : فهل تعرفين في الخلائق أحمقَ من إوزّة ، ودَعيني من مَثَلهم في الحُبارى[2] ؟ قالت : لا . قلت : فتطلّبي عقلَ التجربة ، إذ لا سبيلَ لكِ الى عقلِ الطبيعة ، فإذا أحرزتِ منه نَصيباً ، وبُؤتِ[3] منه بحظّ ، فحينئذٍ ناظِري في الأدب . فانصرفتْ وانصرفنا .

●

---

١ مبسبساً : داعياً بقوله : بس بس .
٢ الحبارى : طائر معروف يضرب به المثل في الحمق والغباوة كما يضرب بالاوز .
٣ باء : رجع .